١٠٩٦
دار م. النحاس
عبير
1096
HARLEQUIN

أطفال في خياله

ماري فيراريلا

أطفال في خياله

ماري فيراريلا

كان مستلقياً على العشب، يفكر في شؤونه الخاصة
رؤفا بشيء كبير رطب يقفز فوق صدره سرعان ما تبعه
شيء انثوي دافيء. وفجاة راى انجلو ماريينو نفسه
يحدق في أجمل عينين زرقاوين راهما في حياته.
ومنذ ذلك الحين وقع في الفخ، وكما كان حدث مع
اخيه واخته من قبل، ادرك ان الوقت قد حان ليستقر.
فما هو الخطأ، إذن في أن يطلب من اليسون كونراد
الجميلة أن تكون زوجته وام أولاده؟
قد يكون كلب اليسون الدانمركي الضخم قد جمع
بينهما، ولكن اليسون لم تشأ أن تكون جادة مع انجلو
حتى ولو كان اعظم رجل شعري كبير القلب عرفته
ولكن كيف لامرأة لم تعرف الحب في حياتها، أن تقول
كلا لرجل يحمل لها كل ذلك الحب؟

سعودية: ١٠ ل.س – الكويت: ٧٥٠ فلس – البحرين: ١ دينار – قطر: ١٠ دراهم
السعودية: ١٠ ريالات – الامارات: ١٠ دراهم – الأردن: ١,٥ دينار – المغرب
درهم مغربي – سلطنة عمان ١ ريال – تونس: ٢ دينار

(والآن ما رأيك في ان تكوني أم أولادي.)

ألقى عليها انجلو هذا السؤال ببراءة، فوقفت القهوة في حلق أليسون فسعلت واخذت تحدّق غير مصدقة إلى الرجل الجالس امامها. فأخذ يربت على ظهرها وطلب لها كوب ماء.

ثم سألها بابتسامة عريضة: «هل أصبحت مستعدة للإجابة على سؤالي؟»

فقالت له: «لا اظنه يستحق جواباً.»

«هل هذه طريقة أخرى للقول انك ستفكرين في الأمر؟» ولخذ يفكر في انهما سينجبان فتاة صغيرة أولاً، وستشبه أمها بالضبط. فقالت له: «لا أدري ما إذا كنت تمزح، أم انك مجنون تماماً.»

«أليس هناك تحليل آخر؟»

سألته بارتياب: «مثل ماذا؟»

«مثل انني وقعت في غرامك؟»

الفصل الأول

كان الكلب فيت هو الذي جمعهما معاً في صباح يوم الجمعة ذاك في بيدفورد بهذا الشكل المفاجيء غير المتوقع والذي كان تأثيره على انجلو مارينو قوياً للغاية.

كان انجلو وحده مستلقياً على العشب في الحديقة العامة، رافعاً بصره إلى السماء الشديدة الزرقة متأملاً في طبيعة حياته ووجوده، وذلك لأول مرة منذ ستة وثلاثين عاماً، هذا بينما كانت تتناهى إلى سمعه اصوات لأولاد يلعبون بعيداً عنه تحت رقابة امهاتهم. كان منظر وصوت اولئك الأولاد هو ما اطلق العنان لأفكاره رغم علمه بأنها كانت تعتمل في نفسه منذ وقت طويل.

ولكن سرعان ما اخرجه من افكاره تلك دوس مخلب عريض لكلب دانماركي ضخم يزن حوالي المائة وخمسين رطلاً.

كان انجيلو يحاول جهده العودة من عالم الأفكار والأحاسيس ذاك، وكان على وشك النجاح في ذلك عندما قفز الكلب من فوقه جاراً صاحبته في إثره وهي تصيح متوسلة: «انتظر... قف.» وفيما بعد ذلك النهار عندما اخذ يستعيد تلك الكلمات في ذهنه، أدرك انها لم تكن تتوسل، وإنما كانت تصدر أمراً بصوت رقيق حازم، صوت ارتفع فجأة محذراً عندما تعثر الكلب الضخم بأنجلو فوقف فجأة بينما تابعت المرأة التي كانت تمسك بمقوده، اندفاعها إلى

ان اصطدمت بانجلو ومن ثم وقعت فوقه، وإذا به ينظر إلى اجمل عينين زرقاوين رآهما في حياته إذ كان وجهها لا يبعد عن وجهه بسوى إنشات قليلة.

كان الكلب قد قفز جانباً، وفجأة لم يعد سواها هما الاثنين.

مد يده يزيح ورقة شجر من شعرها وهو يقول باسماً: «هل اصابك ضرر؟» ولكنها طبعاً لم تكن شعرت بأي ضرر، ولم يحاول هو النهوض، وهو يفكر في أنه مستعد للبقاء بهذا الوضع إلى العيد القادم.

انقلبت أليسون كونراد بعيداً عنه وهي تشهق مدهوشة محاولة الوقوف على قدميها، كانت ساقاها ترتجفان، وكذلك جسمها بأكمله، لهذا الإصطدام غير المتوقع.

جذبت نفساً عميقاً وهي تنفض العشب عن شعرها وثيابها. لقد أدركت من رائحة العشب انه لا بد جذ حديثاً، ما جعل جذاذاته تنتشر على ثيابها.

انتبهت إلى ان الرجل المستلقي على العشب ينظر إليها بحدة وكثير من الهزل، فتوقفت عن نفض ثيابها.

وكأنما أحس الكلب بمشاعر هذا الرجل نحو سيدته فعاد إليه يحيطه بقوائمه وكأنما يمنعه من الحركة. فلم تستطع هي إلا ان تضحك وهي ترى الدهشة البادية على وجه انجلو، وقالت: «كان عليّ ان اسألك إذا كنت أصبت بضرر.»

كانت ضحكته رقيقة وهو يجيبها: «إسأليني إذن.»

فانحنت نحوه تسأله: «هل انت بخير؟»

نظر إلى فم الكلب وهو يحاول إبعاده عنه فيزمجر الكلب باستياء: «كان يمكن ان اكون احسن كثيراً لو ابعدته عني.»

«آسفة جداً.» نهضت واقفة، ثم التقطت رسن الكلب وهي تصرخ به: «تعال يا فيت.» وإذا بالكلب يخطو فوق انجلو بخفة إلى حيث وقف بجانب سيدته.

فوقف انجلو واخذ ينفض العشب عن ملابسه وهو ينظر إلى الكلب قائلاً: «فيت؟ أهو اسمه؟»

لم يكن الرجل يبدو وهو متسلق على العشب منذ لحظة بمثل هذا الطول الفارع. ولم تعرف هي السبب الذي جعلها تشعر بمثل هذا الإضطراب الذي تملكها، فرفعت رأسها دون وعي، محاولة التعويض عن الفرق بين طول قامتيهما، وهي تقول: «لقد وجدته جرواً على بابي.» وتذكرت مبلغ استياء والدها حينذاك. فقد كانت المرة الوحيدة التي طلبت منه شيئاً، لقد ظلت تتوسل إليه حتى لان اخيراً وسمح لها بالاحتفاظ به، ولكنه لم يسمح لها قط بأن تنسى ذلك.

وابتسمت أليسون للحيوان وهي تمر بيدها على رأسه ملاطفة وهي تقول: «لقد سميته فيت ومعناه قدر كما تعلم، لأن القدر هو الذي أرسله إليّ.»

رأى نفسه يتمنى لو انها تلاطفه بنفس الشكل، فقد شعر بالغيرة منه، وقال: «ما اغرب ما تتحدثين عنه.»

فنظرت إليه مقطبة جبينها إذ تشعر بالإضطراب لما شعرت به من انجذاب نحوه. واشتدت اصابعها حول الرسن بينما نظراته الحادة اليها تزيد الإضطراب في كيانها، فقالت له: «ماذا تقول؟»

أجاب: «لا شيء ذا أهمية، ولكن هل تفعلين هذا كثيراً؟» واشار إلى ثياب الركض التي ترتديها. «أعني الركض وليس الوقوع على الناس.»

فانصرف تفكير أليسون إلى المكتب المليء بالأوراق الكئيبة التي تنتظرها، والإجتماع الذي سيكون بعد ساعات قليلة، فما اكثر المتطلبات منها وما اضيق الوقت، واجابته: «ليس كثيراً.»

كانت لهجتها كئيبة وهي تقول ذلك، فنظر انجلو إلى ملابسها. كانت ترتدي ملابس رياضية لم تكن تبدو جميلة الطراز كما اعتاد ان يراها على اجسام الكثيرات. فقد كانت الوانها حائلة إلى درجة اصبح من الصعب معها تحديد الوانها الأساسية. وكان شعرها الأشقر منسدلاً حول وجهها. كانت كنزتها فضفاضة، ولكنها كانت نحيفة الخصر.

شعرت امامه بالتوتر دون ان تعرف السبب، كانت تعلم انه لو كان يشكل خطراً عليها لأحس فيت بذلك ولاخذ يزمجر، ومع ذلك فقد ساورها احساس بأن هذا الرجل يشكل نوعاً من الخطر عليها، وكلما سارعت في الابتعاد عنه، كان ذلك افضل.

نظرت إلى ساعتها. إذا لم تسارع إلى بيتها الآن فتغتسل وتغيّر ملابسها، فستتأخر عن موعد الاجتماع.

«حسناً، من الأفضل ان اذهب.» ثم استدارت تهم بمعاودة الركض مغادرة حياته بنفس السرعة التي دخلتها فيها.

امتدت يد انجلو تمسك بمعصمها: «انتظري انني لم ألتقط اسمك.»

فنظرت إلى معصمها تنتظر منه ان يتركه، ولكنه لم يفعل، فقالت متحدية: «انني لم ألق به.»

ترك معصمها وهو يراها منزعجة من امساكه به، ولكنه سد طريقها بجسمه: «ولكنه...»

تنحت أليسون جانباً مصممة على الافلات منه، تملكها

التوتر، ما اثار عجبها، فقد كان الوقت نهاراً والناس حولهما، ما جعلها اكثر قدرة على حماية نفسها، هذا إلى ان فيت كان بجانبها فلماذا كل هذا التوتر؟

ولكن هذا الشعور لم يفارقها وهي تنظر إليه متحدية: «حسناً، ما دامت ملابسك ليست برداءة ملابسي...» اخذت تقول ذلك وهي تتنقل حوله، فتقدم انجلو إلى امامها مرة أخرى لا يريد ان يدعها تذهب بهذه السهولة.

«آه، ولكن ملابسي كذلك فعلاً.»

نظرت إليه بارتياب، لم يكن في ملابسه أي شاهد على الرثاثة، فسألته: «أين؟»

فوضع يده على قلبه: «في قلبي.»

فأخذ قلبها بالخفقان، ولكنها قالت ببرودة تخفي بها مشاعرها: «ظننتك جاداً في كلامك.»

فقال: «بل انا جاد.»

عادت تسير مبتعدة مرة أخرى، كانت خطواتها سريعة حازمة وهي تقول له من فوق كتفها: «عليك إذن ان تستشير طبيباً نفسانياً، وارسل إليّ قائمة الحساب.»

فاغتنم الفرصة وصاح بها منادياً: «سأفعل إذا انت ارسلت إليّ اسمك لأرسل اليك القائمة.»

وقفت والتفتت إليه فاتحة فمها ولكنها عادت فاطبقته، لقد كاد يهزمها هذه المرة.

قالت: «انه في دليل الهاتف.»

فتقدم منها خطوة يسألها: «تحت أي اسم؟»

تابعت السير بسرعة وهي تقول أول شيء تبادر إلى ذهنها: «حجر الصوان.»

فوقف وقال: «مثل قلبك...؟»

فجاوبته ضحكتها ولكنها لم تبطىء خطواتها: «شيء كهذا.» لم يكن هذا أول مرة يقوله شخص لها، ولكنها اعتادت ذلك. لقد كان لديها مسؤوليات تستغرق كل اهتمامها، ما لم يبق مكاناً لأي حياة شخصية.

لقد كانت تسارع في الخروج من حياته بمثل السرعة والفجأة التي دخلتها بهما، بينما لم يعرف هو حتى اسمها.

وقف لحظة ينظر اليها وهي تبتعد، ثم مزعناً لرغبة طارئة، اخذ يتبعها، وتابعت هي سيرها إلى ان وقفت بجانب سيارة مرسيدس مقفلة كانت من الجمال بحيث بدت أليسون ملائمة لها تماماً رغم ملابسها الرياضية.

فتحت باب السيارة الذي بجانب مقعد القيادة، ثم تركت من يدها مقود الكلب... فقفز هذا إلى المقعد الخلفي. ورأى انجلو من حيث كان واقفاً، ان الكلب احتل المقعد الخلفي بكامله، اما المرأة التي أثارت اهتمامه واشعلت مخيلته فقد تنهدت طويلاً قبل ان تصعد إلى مقعد القيادة مغلقة الباب خلفها. وبعد ذلك بلحظة كانت السيارة المرسيدس تبتعد لتتوارى عند منعطف الشارع، مخلفة انجلو وراءها.

أسرع انجلو عائداً إلى شقته في الطابق الأرضي مردداً رقم السيارة مرة بعد مرة، ذلك انه لم يكن يريد ان يدع الأمر ينتهي عند هذا الحد، بينه وبينها.

• • •

استدار شاد ماكليلان على عقبيه بعد ان سمع باب المكتب يفتح ثم يغلق خلفه، ثم قال: «اين كنت؟» وكان قد سبق وسأل

شيرلي ثلاث مرات عما إذا كان انجلو قد اتصل أو ترك خبراً. فهو لم يأت هذا النهار كما انه لم يتصل هاتفياً، على خلاف عادته، ذلك ان لديهم اجتماعاً في كوستاميزا والذي كان يتطلب الرحيل بسرعة اذا كان لهما ان يصلا في الموعد المقرر.

لم يبد على انجلو انه لاحظ الإضطراب في صوت اخيه بالحضانة، وهو يستدير إليه بالمقعد الدوار الذي كان جالساً عليه خلف مكتب شاد، قائلاً: «كنت مجتمعاً بفتاة احلامي.»

فاخرج شاد ربطة عنق من درج المكتب الجانبي، ذلك ان انجلو لم يكن لديه ربطة عنق، فهو دوماً كان يصرّح بأنه لا يحبها، ولهذا كان شاد يحتفظ بعدد منها في مكتبه لأجل أخيه في حالة كان هناك اجتماع، وسأل أخاه: «أهي فتاة اعرفها؟»

أجاب انجلو وهو يتناول الربطة من أخيه: «كلا، حتى انني أنا لا اعرفها.»

فجمدت يدا أخيه عن الحركة ونظر إلى الرجل الذي كان أخاً وصديقاً له منذ ما يزيد عن العشرين عاماً. منذ اكثر من اسبوعين وتصرف انجلو يتصف بالغرابة، ما كان يثير اهتمام شاد شيئاً فشيئاً.

«انجلو، إذا نحن لسبب ما لم نعز بالمناقصة لإضافة ملحق للسوق، فأنا أريدك ان تذهب في إجازة طويلة.» ثم فتح الخزانة واخرج منها سترة تتلاءم مع ربطة عنق انجلو، وكانت كحيلة اللون: «هاك.»

فقال انجلو وهو يرتدي السترة: «كف عن القلق لأجلي، لقد ابتدأت تصبح كأمي.»

ان هناك شركة عليهما ان يديراها وأناساً يعتمدون في معيشتهم عليهما، وتابع يقول وهو يتبع شاد إلى الردهة ومن ثم إلى موقف السيارات بينما هو مازال يسوي ربطة عنقه، تابع بحدة: «إذا لم ترس علينا المناقصة فلن يكون لدينا المال الكافي للقيام بإجازة.»

ألقى شاد بحقيبة الأوراق إلى المقعد الخلفي من السيارة الجاغوار الفضية اللون. كانت هذه السيارة إحدى نزعاته للتبذير والتي لا تناسب رجلاً عنده زوجة وولدين، كما اخذ يفكر، رغم ان زوجته هي التي شجعته على شرائها. وكان هذا احد الأسباب التي يحبها لأجلها، فقد كانت متفهمة.

ثم قال يذكر انجلو: «ان الشركة على مايرام.»

جلس انجلو بجانبه، فقد كانا يستعملان دوماً سيارة شاد حيثما ذهبا، فقد كان شاد يحب القيادة، وكان من طبيعة انجلو ان يدع الآخرين يفعلون ما يسرهم. وعندما اصبحا في زحمة الشارع، قال: «حسناً...»

فألقى شاد نظرة على وجه انجلو الخشن الملامح وذلك قبل ان يحول انتباهه إلى الطريق. رآه وجهاً يوحي بالثقة والنزاهة، ولكنه حالياً كان يبدو عليه الإنزعاج فقال له: «ولكنك على كل حال لست كذلك، هل تريد ان نتحدث في هذا الأمر؟»

اثناء كل تلك السنوات التي امضياها معاً، لم تكن بينهما أسرار قط، حتى ان الكلمات لم تكن ضرورية احياناً للتعبير عن المشاعر، ولكن انجلو الآن لم يستطع ان يجد الكلمات التي يتمكن بها من التعبير عن هذا التململ والقلق الغريب

الذي اخذ مؤخراً يحتل افكاره واحلامه. الأحلام التي كان يرى فيها نفسه يسبح دون هدف في بحر ليس له شاطىء، وحيداً ضائعاً.

«ألم تتساءل قط إلى اين تسير بك الحياة، يا شاد؟»

تملك شاد العجب مما اثار ذلك في نفس انجلو والذي كان في رأيه، اصغر من ان يفكر في ازمات الحياة، فضحك بحرج املاً في ان يخرج أخاه مما يزعجه، وقال: «لم يحدث قط ان كان لديّ ما يكفي من الوقت للتساؤل.»

في البداية، كانت تنقلاته بين منازل الرعاية لا تنتهي، وقد انشغل شاد مدة بالترفيه عن شقيقته دوتي والعناية بها، ثم استقر به المقام في منزل آل مارينو الدافىء والحافل بكل ما يمكّن غلاماً حدثاً من العمل تعبيراً عن شكره للحب الذي يتلقاه دون قيد أو شرط، وبعد تخرجه من المدرسة الثانوية في الثامنة عشرة من عمره، وهي السن التي لا يعود معتبراً فيها ابناً بالرعاية، بقي مع آل مارينو حيث اخذ يتعاون معهم في اعمال الأسرة، ثم تلا ذلك زواجه من امرأة لديها طفلين. كلا، لم يكن لديه وقت للتساؤل إلى اين تسير به حياته. كانت تسير وكفى.

ابتسم انجلو وهو يفكر في الطريقة التي سارت بها حياة أخيه: «كلا، لا اظن ذلك ولديك زوجتك وفرانكي والطفلة الرضيعة.»

كانا اكثر تقارباً من معظم الأخوة الطبيعيين. فقال له شاد: «ولكنك تتساءل عن ذلك.»

هز انجلو كتفيه، شاعراً بالحرج من الاعتراف بما يشغل باله: «في كل مرة تحدثني فيها أمي عن ضرورة

الإستقرار، اجيبها دوماً ان ليس لديّ وقت لذلك، وان هذا سيحدث عندما يحين وقته. ولكن الآن وانت متزوج ولديك أسرة، ودوتي متزوجة ولها طفل...»

فقال شاد مصححاً كلامه: «بل طفلان.»

نسي انجلو همومه الشخصية، والتفت إلى شاد مذهولاً: «اتعني؟»

فارتسمت على وجه شاد ابتسامة عريضة: «نعم.»

«هل انت تمزح؟» وعادت إلى مخيلته صورة دوتي، تلك الفتاة ذات الجدائل والصبيانية بتصرفاتها. دوتي حامل؟ وغمرته لأجلها سعادة أخذت تتصارع مع شعوره بأنه اصبح خارج مسيرة الحياة.

لاح السوق امامهما إلى اليمين، ثم اخذ بالاتساع كلما اقتربا منه، وكان شاد يثرثر قائلاً: «لقد اضطرت لقطع كلامها وهي تخبرني، وذلك لكي تذهب وتستلقي على سريرها. فقد كانت خائفة من ان تتقيأ ماتناولته من فطور.» وإذ انعطف بالسيارة إلى اليمين، لاحظ الوجوم على ملامح انجلو ممتزجاً بالكآبة.

«ماذا حدث؟ هل ثمة ما يزعجك؟»

فهز انجلو رأسه: «كلا، لا شيء. كل ما في الأمر هو انني اريد ذلك، انا أيضاً.»

أوقف شاد سيارته في مكان قريب من مدخل السوق، ثم نظر إلى انجلو ويده مازالت على الكابح: «اتقول انك تريد غثيان الصباح؟»

فضحك انجلو وهو يترجل من السيارة، ثم نظر إلى أخيه الأصغر: «كلا، ما أريده هوكل ما يتعلق بهذا الأمر.»

اثناء سيرهما نحو المكاتب الكائنة فوق مركز السوق مباشرة، مر انجلو بامرأة تدفع عربة طفل فشعر بنفس الحسد الكئيب يعود إليه، مزيجاً بحنين ولهفة: «ولا أدري إذا كان هذا سيحدث لي، يا شاد. انني اريد زوجة... طفلاً، الحلم الأميركي باكمله، انني في السادسة والثلاثين من عمري...»

فقال شاد يذكره: «وأحد مالكي شركة بناء.»

التفت انجلو إلى شاد وهو يتمسك بحاجز السلم الكهربائي: «يجب ان يكون هناك شيء آخر، كان هذا كافياً عندما كنت في الخامسة والعشرين، ولكنه لم يعد كافياً الآن.»

فقال شاد وهو يستدير نحو اليسار، ثم يسيران معاً جنباً إلى جنب: «وما الذي يمنعك؟»

ذلك ان شاد لم يفكر في الزواج إلا بعد ان حدث هذا فعلاً لقد حدث كل شيء بشكل مفاجيء من دون تخطيط مسبق.

«لم اقابل قط امرأة شعرت برغبة في قضاء بقية حياتي معها، حتى هذا النهار.»

رفع يده يقرع الباب بينما وقف شاد يحدق اليه.

«هل انت جاد؟» لقد كان ذلك حدث بالنسبة إليه هو، بنفس السرعة، فقد ألقى نظرة واحدة على جاتي أدرك بعدها انها مختلفة عن غيرها، ثم لم يأخذ وقتاً اكثر من ذلك لكي يدرك انه يريد هذه المرأة في حياته بشكل دائم.

أجاب أنجلو: «ما كنت جاداً في حياتي اكثر مما انا الآن.» تنهد وهو يتذكر ذلك اللقاء المختصر، وقال بابتسامة عريضة: «انها لا تكاد تبلغ كتفي طولاً، شقراء بالغة الحيوية تبلغ الخمسة اقدام طولاً، وكان معها كلب.»

نسيا الاجتماع لحظة وشاد يسأله وقد استند إلى الجدار:
«هل ستراها مرة أخرى؟»

«كانت تركض مع كلب دانمركي ضخم فاصطدما بي، لقد سقطا فوقي في الواقع.»

حاول شاد ان يتصور ما حدث، ثم قال: «هل من الممكن ان تتضح صورة ما حدث إذا كررت القصة؟» لكن انجلو لم يشأ ان يعاود الحديث عن ذلك خوفاً من ان يتبدد سحر ما حدث. فقد آثر ان يقتفي أثرها أولاً، وهكذا رفض قائلاً: «كلا.»

فضحك شاد: «ما اسمها؟»

فقال على مضض: «لا أدري، لم تشأ ان تخبرني.»

«ألا تعلم شيئاً عنها على الاطلاق؟»

فاتسعت ابتسامته مرة أخرى: «لدي رقم سيارتها المرسيدس.»

صفر شاد بصوت منخفض: «لقد وقعت على الأقل على ابنة طبقة غنية، سنبحث في أمر اقتفاء أثر سيدتك الغامضة تلك وذلك بعد اجتماعنا بوولترز.» وقرع شاد الباب ففتحته على الفور امرأة في عقدها الخامس.

«مرحباً يا سادة، انه في انتظاركما.» ثم سارت امامهما متجهة نحو مؤخرة الردهة خلال ممر متألق بالأنوار.

سألها انجلو بظرفه المعهود الذي يحبب الآخرين به على الفور، سألها بقوله: «ما رأيك يا واندا؟ هل رست علينا المناقصة؟»

نظرت اليه المرأة، وبدا وكان الخطوط حول عينيها وفمها قد تلاشت عندما استجابت لابتسامته: «هذا ما يبدو لي.» وغمزت بعينها بشكل واضح، بينما تبادل شاد وانجلو

النظرات بسرور. لقد ابتدأ مارينو وماكليلان طريقاً طويلاً منذ الأيام التي كانت لا تعرف سوى مارينو. وكانت الشركة حينذاك شركة قرميد، وكان سلفاتور مارينو قد جعل طبيعة عمله مختصة بتجديد الحمامات، وقد أورث شاد مهارته وحماسته في توسيع اساس الشركة.

كان سلفاتور قد اخذ اليه شاد ودوتي واصبح بمثابة الوالد بكامل رغبته ومن كل النواحي بحيث لم يكن بينهما وبين ابنهما انجلو أي فرق في التربية والنشأة، فقد كان منزل مارينو بيتاً لهم جميعاً.

لكن شاد اصبح لديه أسرة الآن، تضم ابن زوجته البالغ من العمر خمسة عشر عاماً، هذا إلى طفلة رضيعة، ولم يكن من العدل بالنسبة اليهم ان يعمل شاد الآن بنفس الوضع والساعات التي كان يعمل بها قبل زواجه، فخمسة عشر إلى عشرين ساعة يومياً كان أمراً معقولاً قبل زواجه، أما بالنسبة إلى انجلو فلم يكن هذا يزعجه إلى ما قبل فترة قصيرة. ففي العام الماضي غير رأيه بالنسبة إلى الدفء والحنان الذي كان يسود جو حفلة عشاء الأحد الذي كانت أمه تحب ان تتصدره، فقد كان هو جزءاً من كل ذلك. ومع ذلك فقد كان يشعر بالوحدة والإنفصال عن كل ذلك، وكان شاد وأسرته ودوتي وأسرتها يأتون كل احد. وكان هنالك دوماً كرسي زائد لأجل من قد يحضرها انجلو معه. ولكنه نادراً ما كان يستعمل. فهو لم يكن لديه من يهمه امرها فيحضرها معه.

لكنه الآن قد ابتدأ يتساءل عما إذا كان سيعثر على تلك المرأة، يوماً ما.

عندما اقتربا من الباب المؤدي إلى المكتب الداخلي في

نهاية الردهة، نفض انجلو عنه اكتئابه، فقد كانت الشركة التي رعاها شاد وانجلو قد سبق وبنت سوقاً صغيراً في ماليبو وساعدت في بناء عدة اسواق أخرى، كان شأنهما يعلو في الحياة، ولم يكن هذا بالوقت المناسب للحزن على اشياء لم تكن تجري في حياته كما يجب.

لم يستطع شاد تجاهل الاهتمام الذي شعر به نحو مزاج انجلو، ما غطى على أي عقد كان يأمل في الفوز به، فقد كان انجلو اكثر أهمية لديه من أي مشروع عمل. وهكذا وقف قبل دخولهما المكتب: «اسمع يا انجلو، اذا لم تكن شاعراً برغبة في الجلوس في الداخل، بإمكاني أن...»

«ماذا؟ وادعك تستولي على كل المجد لنفسك؟ كلا، انني بخير، حقاً.» عادت ابتسامته إلى شفتيه، وتألقت عيناه السوداوان بذلك الحب للحياة والذي كان يفيضه على الآخرين، حتى في احلك الأوقات، فكل ما هو آت، آت، لقد كان هذا أول درس علمه أياه والده، وألقى بذراعه حول كتفي أخيه بعفوية وهو يقول: «هيا بنا يا شاد.»

ثم تبعا واندا إلى داخل المكتب.

كان المكتب الرئيسي لمونتغومري وولترز، الشركة التي كانت تراقب كل شيء كان يجري في سوق جنوب كاليفورنيا، كان فسيحاً إنما هادئاً خافت الضوء ما يشهد لأدريان وولترز بحسن الذوق. وقف وولترز بحجمه الضئيل وراء مكتبه مستعداً لتحية الرجلين اللذين كان بانتظارهما، كان يواجه مكتبه ثلاثة مقاعد بدا وكأن شخصاً ما يحتل منها المقعد الأبعد عن الباب، وحيث ان المقعد كان مستديراً إلى جانب لم ير انجلو سوى ساقين طويلتين رشيقتين.

قال وولترز وهو يمد يده مصافحاً شاد ثم انجلو: «آه، لقد تأخر بنا الوقت، فقد كنا على وشك الابتداء.»

قال شاد وهو ينظر باتجاه المقعد المشغول: «كنا؟»

أجاب وولترز وهو يومىء إلى الشخص الجالس على الكرسي الذي إلى يساره: «نعم.»

نهضت المرأة واستدارت تنظر إلى الرجلين. لم تتغير ملامحها ولكن عينيها اتسعتا قليلاً بإدراك ودهشة.

لكن انجلو لم يكن بالرجل المتعاد على مثل هذه المواقف المعقدة. فقد نظر فاغر الفم إلى المرأة التي كانت قفزت فوق صدره.

الفصل الثاني

لم يستطع أنجلو أن يتذكر مرة واحدة، وذلك خلال سنوات عمره السادسة والثلاثين، استعصى عليه فيها النطق كما حدث هذه المرة وهو يرى الكلمات تهرب منه.

جذبه شاد بذراعه هامساً: «ما الخبر؟ يبدو عليك وكأنك شاهدت شبحاً.»

فهز أنجلو رأسه ببطء وعيناه لا تبارحان وجه الفتاة: «انها ليست شبحاً.» وابتسم متابعاً: «بل هي مستقبلي.»

التقطت أنفاسها بحدة، من يكون هذا الرجل؟ وألقت نظرة غيظ على وولترز، راجية أن يكون الأمر كله مجرد غلطة. فهذان الرجلان لا بد جاءا خطأ إلى غير مكانهما. ربما كان المفروض أن يكونا في المكان المجاور حيث متجر الألعاب العالمي.»

هذا بينما ضغط شاد شفتيه معاً وأخذ ينقّل نظراته بين أنجلو وهذه المرأة وهو يتساءل عما تراه يحدث.

تقدم أنجلو نحوها، فإذا باليسون تشعر فجأة وكأن الغرفة أطبقت عليها ما جعل تنفسها غاية في الصعوبة وهو يمدّ يده إليها محيياً: «أنجلو مارينو. يبدو أننا عدنا فتقابلنا بأسرع ما كنت تتوقعين.»

وإذ رأت أليسون من ملامح وولترز أن هذين الرجلين لم يخطئا في قدومهما إلى هذا المكان، وأن المفروض أن يكونا هنا فعلاً، لم يكن أمامها من خيار سوى مصافحة

أنجلو رغم أنها لم تكن تريد ذلك، لم تكن تريد أي اتصال بهذا الرجل.

أجابت ببرودة الثلج: «إنه أسرع من المطلوب.» وكانت ترجو أن يضعه جوابها هذا عند حده.

إذن فهذه هي المرأة صاحبة الكلب الدانمركي الضخم والتي سلبت عقل أنجلو... أخذ شاد يفكر بذلك وهو يتفرس فيها بإمعان لكي يعرف السبب. وتمتم يقول لأخيه: «أراك تركت تأثيراً حسناً عليها.»

فقال أنجلو بابتسامة عريضة: «كلا، هي التي تركت تأثيراً عليّ، أو لعله كلبها في الواقع.» نظر إلى وولترز متابعاً وهو يربّت على صدره: «هنا.»

نظر وولترز إلى الثلاثة دون أن يفهم شيئاً: «إذن، فأنتم تعرفون بعضكم بعضاً.»

فقال أنجلو وأليسون بصوت واحد: «كلا.»

تضايقت أليسون من الطريقة التي أخذ أنجلو ينظر إليها، فقد كانت حميمة وشخصية. ان مجرد وقوعها مصادفة عليه لا يعطيه الحق في إظهار كل هذه الإلفة والتي لا تكون إلا بين المحبين.

ثم لماذا هذان الرجلان هنا، أصلاً فقد كانت ظنت أن العطاء قد رسا على شركتها. عادت فقالت لوولترز: «ليس لديّ فكرة عمن يكونان، وأنا...» لم تكمل حديثها لأن الباب خلف شاد وأنجلو فتح وأطلت واندا برأسها، لاحظت أليسون أن المرأة ابتسمت لأنجلو قبل أن توجه كلامها إلى وولترز، قائلة: «إنني شديدة الأسف لمقاطعتي لكم، يا سيد وولترز، ولكن الناس الذين يريدونك بشأن الحفلة هم هنا.»

فقال وولترز وقد بدا عليه التوتر: «ولكن لديّ اجتماع، يا واندا.»

أومأت المرأة المسنة، قائلة: «أعرف ذلك، يا سيدي. ولكنهم وعدوا بأن لا يأخذوا من وقتك أكثر من لحظة واحدة، إنه بشأن تغيّر نظام الألوان.»

«لماذا لا تحدث هذه الأمور إلا عندما يكون مونتغومري في إجازة؟» أغمض وولترز عينيه وكأنه يبحث عن عزاء غير موجود، وعندما فتحهما نظر إلى الأشخاص الثلاثة أمام المكتب ثم قال محاولاً الابتسام: «سأعود حالاً.» ثم اتجه نحو الباب: «حيث أنكم، أنتم الثلاثة، تعملون في مجال البناء، فأنا واثق من أنكم ستجدون ما تتحدثون عنه.» ثم أغلق الباب خلفه.

نظر أنجلو إلى المرأة التي بجانبه. كانت ترتدي بذلة عمل أقرب إلى طراز الملابس الرجالية. وبدت له أجمل في ملابسها الرياضية تلك.

«هل تعملين في مجال البناء؟» وجد من الصعب عليه أن يصدق أن فتاة في مثل رقتها هذه، يمكن أن يكون لها علاقة بالبناء. ربما هي سكرتيرة أرسلت لتتسلم أمراً بالتزود بمواد البناء حالما يصبح العمل فوق الأرض، ولكنه ما لبث أن نبذ هذه الفكرة، فهو وشاد لديهما قائمتهما الخاصة بأسماء الممولين والمتعاقدين معهم، وبالتالي ليس لوولترز أيّ علاقة بذلك.

لم تهتم الفتاة بلهجته المتشككة تلك والتي بدا فيها وكأنه يضحك منها، وقالت: «نعم، هذا صحيح.»

كان استخلاص أي معلومات منها أشبه بقلع ضرس. بدت له جميلة جداً، منتظمة الأسنان.

«وأنت تنوبين عن...»

بقيت نظراتها مصوبة أمامها بشكل مستقيم، متمنية لو يسرع وولترز بالعودة. كانت تريد أن تنتهي من كل هذا، كانت تعلم أنه يوم جميل رائع من أيام جنوب كاليفورنيا، بينما هنا لا يوجد سوى الأثاث ورفوف الكتب، وهذا الرجل بالغ الفضول. لقد كانت نسيت تماماً شريك أنجلو وأجابت: «كونراد وولده.»

قالت ذلك وكأنها تعلن عن سلالة ملكية، كان هو قد سبق له وسمع بهذه الشركة. ومن لم يسمع بها؟ فهي شركة قديمة العهد وهي التي شيدت أروع الأبنية في المنطقة، فقال بابتسامة عريضة: «وأي منهما أنت؟»

فاستقامت في جلستها وقالت: «أنا الولد.»

كان سؤاله هذا وقاحة منه، إذ لم يكن يتوقع أن تكون أياً منهما. فسألها: «لا بد أن هناك تفسيراً لهذا، أليس كذلك؟»

مدت أليسون يدها على كره منها لتقول مقدمة نفسها: «أليسون كونراد، والشركة تحمل اسم أبي، وهو يدعوني سوني.»

«أظنه يضع نظارات.»

أخذت أليسون تتصور والدها بملامحه الحادة الوسيمة، وعبوسه وهو يتفحص التقارير التي تأتيه بها ثم ينظر إليها بعينيه الزرقاوين بعدم استحسان وذلك من خلال نظارتيه السميكتين، وأجابت: «نعم، هذا صحيح.»

كيف يمكن لأي شخص بأن يطلق لقب الابن على مثل هذه الفتاة الفياضة بالأنوثة.

قال لها: «أعطيني قائمة بالأبنية التي تنشئونها وذلك لكي أضع ملاحظة بأن أبقى بعيداً عنها.»

كانت هذه نكتة منه مغلفة بمجاملة. ولكنه رأى أنها لم تفهمها بهذا الشكل، ولأول مرة في حياته يشعر وكأنه يتخبط في كلامه.

ما هذا؟ أيظنها ستسرّ إذا هو طعن بسمعة عمل والدها؟ ثم ألم يدرك أنها مشتركة في كل بناء؟ قالت له ببرودة: «لا ضرورة لذلك، فنحن لا نستعمل سوى أفخر المواد. وأنا أساعد في كل منشئاتنا.»

قال أنجلو متراجعاً: «سأتذكر هذا دوماً.»

وجدت هي أن الغلظة هي الأنسب بالنسبة لبعض الناس، فقالت: «حاول أيضاً أن تلتزم بالموقف المهني.»

تساءل شاد عما حدث لأنجلو. فهو لم يعهده قط من قبل معقود اللسان بهذا الشكل، حسناً ربما ستستقيم الأمور الآن إذ يبدو أنها ألزمته مكانه، وجاء سؤال أنجلو التالي بشكل مفاجىء ما جعل شاد يدرك خطأ تخمينه.

«هل أنت متزوجة؟»

فاتسعت عينا أليسون دهشة، ثم ضاقتا لدى هذا السؤال. هوذا يخوض في حياتها الخاصة. تباً لذلك، من تراه يظن نفسه، وأجابت: «كلا.»

مال نحوها، وقد سره جوابها، ثم عاد يسألها رغم وكز شاد له بمرفقه: «هل ثمة متقدم لخطبتك؟»

فازداد ضيقها: «كلا، لم يتقدم أحد لخطبتي.»

إن عليها أن تجعل والدها يفهم ذلك فهو لا يراها سوى ملحق... شخص لا ينفك يخيّب رجاءه.

فتمتم شاد بصوت منخفض: «ربما هم لا يجرؤون.»

وعندما تحولت عيناها الزرقاوان الحادتان نحوه، ابتسمت

بسرعة ومالت نحو أنجلو الذي سارع يقول: «إنه شاد ماكليلان، الشريك الصامت.»

أومأ هو لأنجلو، ثم عاد إلى المراقبة. كان هذا شيئاً جديداً، فقد كان من عادة أنجلو أن يتنحى جانباً إذا كانت النساء هي الموضوع، وحسب ما يتذكره شاد، كان أخوه غافلاً على الدوام عن اهتمامه الكامن بالأنثى، لم يكن في حياته قط غرام جاد، فقد كان أنجلو عديم الاهتمام بالاستقرار مما كان يسبب اليأس لأمه، وبالتالي كان منيعاً إزاء النساء اللاتي كن أكثر من راغبات في حمل اسمه وأولاده.

حتى هذا الحين، كما يبدو.

مال شاد إلى الخلف، وأخذ يتأمل في المرأة التي فتنت أخاه.

كانت صغيرة الحجم، ترتدي بذلة أنيقة مؤلفة من قطعتين من قماش غالي الثمن بلون الرمال. كما لاحظ شاد فقد كان شعرها معقوصاً من الخلف بشكل أنيق، ليس لكي تظهر تقاطيع وجهها الجميلة، ولكن لكي لا يضايقها أثناء العمل. كانت تبدو سيدة تقدر الكفاءة ولا تسمح لأي شيء بأن يعترض طريقها.

لم يستطع إلا أن يتساءل عما إذا كان أنجلو قد لاحظ نزعة العناد والاستقلال التي كانت تبدو عليها. كما أنه تساءل عما إذا كانت مناسبة لأنجلو فقد كان في رأي شاد أن قليلات من النساء هن كذلك، وذلك أن أنجلو مارينو، كأبيه من قبله كان رجلاً غير عادي وذا قلب أكبر من أي قلب يستحق هذا الاسم.

وتملكه الأمل في أن لا يتحطم قلبه هذا في النهاية. وكتم

آهة تحرك بعدها في كرسيه ثم نظر إلى الباب، آملاً في أن يعود وولترز بسرعة قبل أن تبدأ المفرقعات بجانبه فأنجلو ليس طفلاً وبإمكانه العناية بنفسه، وكل ما كان شاد يرجوه هو أن يتذكر أنجلو ذلك ويبقى بعيداً عنه، كان يعلم أن دوتي شقيقته كانت رفضت ذلك فالمنطق والتعقل لم يوقفا أخته عند حدها من قبل.

وأخذ ينقل نظراته بين الاثنين.

هذا بينما كانت أليسون تشعر بالقلق والتوتر في داخلها. وكانت تكره هذا الشعور، لماذا ينظر إليها هذا الرجل بهذه الطريقة وكأنه يعرف عنها شيئاً لا تعرفه هي، فيجعل مثل هذا الشعور يتملكها؟ ما أسخف هذا، ولكن هذا ما يحدث فعلاً. وابتدأت تقول، آملة بأن يبدّد الحديث عن العمل بعض ما تشعر به: «يا سيد مارينو ليس لديّ فكرة عن سبب وجودنا هنا جميعاً...»

فقال أنجلو متفكهاً: «ربما لأمور تتعلق ببناء ملحق للسوق.»

إنه يتهكم عليها حتماً إذ يرى أن المفروض عليها بالسبب ذاك. وهي قد اعتادت هذا النوع من الرجال الذي يحب أن يفرض نفسه على النساء، مقللاً من شأنهن، فقد عملت معهم معظم حياتها، وأرتهم خطأهم، وأن بإمكانها أن تماثل الرجل في كل شيء. وكذلك تري والدها أنها بمثل صلاحية الرجل. وهي تريد أن تمضي حياتها محاولة إثبات ذلك له.

بدا شيء من الجفاء على فمها وهي تقول: «إنني واثقة من ذلك، أما الذي أعنيه فهو أنني لا أعرف ما الذي تفعله

هنا، فقد سبق وفهمت أن العطاء قد رسا على شركة كونراد وولده.»

فقال هازلاً: «حسناً، قد يكون ذلك لأجل أمر آخر.»

كانت تبدو له قديرة معتزة بنفسها، ولكنه كان يعلم أن ذلك النوع من السلوك هو عادة، يعكس نوعاً من الدفاع عن النفس أو بالأحرى تغطية لضعف كامن. فقد كان شاد بهذا الشكل عند أول مجيئه للعيش معهم، فقد كان غلاماً خشناً وقحاً لا يجرؤ على إظهار حبه بسبب كل ما عاناه في حياته من نبذ واحتقار. وتملك أنجلو الشك في أنه يواجه نفس الشيء في شخصية أليسون الآن. ما عدا أنها أجمل كثيراً مما كان شاد.

جعلهم صوت فتح الباب يلتفتون جميعاً. ورأى أنجلو نظرة الارتياح التي بدت في عيني أليسون، رغم أنها ربما لم تكن تدرك ذلك.

«آسف لجعلكم تنتظرونني طوال ذلك الوقت.» قال وولترز ذلك وهو يعود إلى مكتبه. «يبدو أنه لم يعد لدينا لحظة فراغ.» ونظر في اتجاه أليسون ملتمساً التعاطف ولكن عبثاً. فتنحنح ثم اتجه نحو الموضوع الأساسي للاجتماع وذلك بقوله: «حسناً، يبدو أنكما تقدمتما بنفس العرض.»

التفتت أليسون إلى أنجلو ترمقه بنظرة اتهام أرسلت التسلية إلى نفسه بدلاً من الاستفزاز. فمال إلى الأمام هامساً: «إننا لم نتجسس عليك، صدقيني.»

لم يعجبها في تصرفات هذا الرجل شيء. فقد كانت غريبة منافية لأخلاق المهنة. وربما ظن أن منافسته لشركتها هي مزحة كبرى.

تجاهلته والتفتت إلى وولترز تقول: «إذن، ليس علينا سوى أن نقدم عرضاً آخر.»

اتكأ وولترز إلى الخلف مفكراً لحظة قبل أن يقول: «لا أرى ثمة حاجة للاستمرار بنفس الطريقة. أرى أنه بما أن هذا عملاً كبيراً، فقد يقسم بين شركتين. لقد تحدثت بذلك إلى مساعديّ فوافقوني على ذلك.» ومال إلى الأمام قائلاً بحزم: «وبهذه الطريقة، يتم العمل بشكل أسرع.»

فقال أنجلو: «أشبه بطريقي قطار ينطلقان من الطرفين المعاكسين فيتقابلان في الوسط.» قال هذا وهو يراقب وجه وولترز، فقد كان ذلك درس فرانكي في الحساب أمس، وكان هو قد تقدم لمساعدة ابن أخيه في أصعب موضوع لديه.

فأومأ وولترز وقد امتلأ سروراً: «نعم، شيء كهذا.» وسكت لحظة ثم أسرع يقول: «إذا أنتما اقتسمتما العرض...»

نهضت أليسون واقفة قبل أن ينتهي وولترز من كلامه، وهي تقول: «هذا غير مقبول.» كان توقعهم أن تعمل شركتها مع شركة أخرى، يشكّل إهانة. فقد كانوا دوماً يقومون بالعمل منفردين.

فقال أنجلو بلطف مكرراً إحدى حكم والده: «إن نصف الشيء خير من لا شيء.»

نظر وولترز إلى أنجلو: «إن أفكارك تعجبني، يا سيد مارينو.»

فابتسم أنجلو ببساطة وهو ينظر إلى وجه الرجل المثلهف. لقد أدرك بالضبط ما يريده الرجل. كان يريد منه

أن يقدم عرضاً أفضل، وكان ذلك يناسبه هو. فقال: «ولكن، ربما بإمكانك أن تفكر بشكل أكثر توسعاً، يا سيد وولترز.» وإذ رأى العبوس الذي ساد ملامح الرجل، عاد يقول: «فلنقل، ربما خمسة أثمان أجراً لكل شركة.»

اتكأ شاد إلى الخلف راضياً بترك المناقشة لأنجلو من باب التغيير. لقد أعجبته هذه الناحية من أخيه والتي لم تكن تظهر إلى السطح إلا نادراً، ولكن الحب يصنع الأعاجيب، كما أخذ شاد يفكر.

ازداد عبوس وولترز وقال: «هذا أكثر من المجموع.»

وافقه أنجلو على ذلك بقوله: «هذا صحيح، ولكنه يضيف السرعة إلى العمل. وهذا كان رأيك أنت.» مال إلى الأمام مركزاً نظراته على وولترز، محاولاً جهده التخلص من شذا العطر الذي يفوح من أليسون، وهو يضيف قائلاً: «كما أن الزبائن يبدأون بالتوافد بشكل أسرع، ما رأيك؟»

كان واضحاً أن وولترز كان موزع الرأي بين أن يوفر مبلغاً ضخماً من المال، وبين أن تتوفر لديه المخازن لتوسيع أعمالهم بشكل أسرع وهذا سيزيد اتساع السوق بما مقداره ثلث حجمه.

وكلما ازدادت المخازن، ازداد عدد الزبائن، أخذ أنجلو يراقب وولترز وهو يزن الأمور في ذهنه. على المدى الطويل، سيعوض ازدياد الزبائن، ما يدفعونه الآن.

«لا بأس، سنقوم بالأمر حسب رأيكم.»

كان هذا ما يزال عالم الرجال، كما كان على الدوام ولكنها ستستمر في إحداث ثغرات فيه ما دامت تتنفس. فقالت تصحح له كلامه: «حسب رأيهما، يا سيد وولترز.»

فالتفت الرجال الثلاثة إليها، وكأنهم تذكروا فجأة وجودها في الغرفة.

كانت تلوّح بيد رقيقة خلقت للعزف على البيانو أكثر منها لأعمال البناء، مشيرة إلى الرجلين المنافسين لها، قائلة: «إن شركة كونراد وولده لم توافق على شيء.» وكانت تتوقع من وولترز أن يعاود التفكير في موقفه. ذلك أن والدها لن يوافق على هذه الخطة إذا هي عادت إليه بها.

تنقلت نظرات وولترز بين أنجلو وأليسون، ليقول أخيراً: «إذا كنت ستخرجين من المناقصة يا آنسة كونراد، فهذا إذن لا يدع لي خياراً سوى التعاون مع مارينو وماكليلان...»

فقال شاد بسرعة: «وبهذا نعود إلى المناقصة الابتدائية.»

فأومأ وولترز برأسه: «نعم، بالطبع.»

كانت على وشك أن تخسر المناقصة، تباً لذلك الرجل، على كل حال... ووجهت نظرة اتهام إلى أنجلو. لم يكن لديها سبب وجيه تتمسك به إذا هي شاءت أن تضمن رسو المناقصة على شركتها وحدها، وكبتت تنهيدة كادت تفلت منها.

لم يكن هذا يعني أن شركة كونراد وولده بحاجة إلى عمل. فهي شركة راسخة، تأسست منذ ما يزيد عن الخمسة وثلاثين عاماً، ولكنها بحاجة إلى أن تفوز بهذه المناقصة ذلك أنها إذا عادت وأخبرت والدها بخسارتها لها فسينظر إليها بتلك الطريقة التي تعني أنه يتمنى لو كان له ابن يتابع أعماله بدلاً منها. ولأنها كانت تكره تلك النظرة، فقد قامت

بكل ما في وسعها لكي تمحوها وكذلك الكلمات التي كانت دوماً ترافقها، كلمات ظلت تتجاوب في رأسها سنوات، لولاك...

نعم، لولاها...

عادت إلى مقعدها ببطء، حيث بقيت جالسة على طرفه وكان التوتر كان يتملكها، كما رأى أنجلو... فهي لا تعرف كيف تريح نفسها. كم سيسره أن يعلّمها ذلك.

قالت ترد على وولترز: «لم أقل إننا لن نقوم بذلك.»

فنظر إليها دون أن يفهم: «ما الذي قلته بالضبط، يا آنسة كونراد؟»

كانت وجهت الكلام إلى وولترز، ولكن عينيها كانتا على أنجلو: «قلت إننا سنقتسم المناقصة بالتساوي.»

فقال وولترز بسرعة: «طبعاً.»

نقلت نظراتها إلى شاد. إذا كان عليها أن تثق بأحد، فشعورها يقول إنه هو، وتابعت تقول: «ثم يجب أن لا يكون هناك قرار مستقبل. فإذا كان هنا ما يجب عمله أو التصميم عليه، فسنشترك جميعنا في المداولة، انني سأكون في العمل يومياً.» قالت هذا لكي يدرك أنجلو مبلغ ما هي عليه من جد بالنسبة لهذا الأمر.

فوضع هذا ساقاً على ساق وقال بابتسامة عريضة: «انني متشوّق للعمل معك.»

فتجاهلته، شاعرة بأن هذا في إمكانها الآن ولكنه لن يكون سهلاً أثناء الشهور الحافلة بالعمل التي تنتظرهما، فهي لم تره من النوع الذي يمكنها تجاهله إذا شاءت، حسناً إن بإمكانها أن تعالج هذا الأمر، فقد سبق وعالجته من قبل،

إنها ليست بحاجة إلى رجل يفسد حياتها. فقد أمضت
حياتها بقرب عمال البناء ما تعلمت معه كيف تتجنب وض
أنا طرزان، أنت جين... هذا إلى أنها من الزهو بعملها بحي
لم تكن تدع شيئاً يقف بينها وبينه، فقد كانت تحم
مسؤولياتها بجد بالغ، فهذا كل ما لديها.

استقر الأمر، وفتح وولترز التخطيط الهندسي لملح
السوق، فغطى سطح مكتبه بأكمله.

«إننا سندعوه قصر الزمرد.» وأشار بطرف القلم
المخزن الضخم ذي الثلاثة طوابق والقبة والذي كان
المركزية للملحق بأكمله. كانت الطوابق الثلاثة
ثلاث اتجاهات، أما الاتجاه الرابع فكان حيث يتصر
بالسوق الموجود حالياً.

كانوا جميعاً قد سبق لهم رؤية هذا الرسم من قبل و
عندما قدموا عروضهم، إنما الآن عليهم أن يبنوه، فكا
الشعور مختلفاً بشكل ما، وشخصياً أيضاً... ربما أكثر م
يجب.

أدركت أليسون أن أنجلو كان واقفاً بجانبها، فكرت
التنحي جانباً، ولكنها عادت فبقيت مكانها إذ أن هذه
أحسن الطرق لمعاملة شخص مثله. فهي لا تريد أن تد
يعلم بأن له أي تأثير عليها.

قال لهم وولترز: «أريد أن يبدأ العمل في أسرع و
ممكن، فلنقل الأسبوع القادم؟»

كان أنجلو وشاد، قد سبق وتحدثا في هذا الأمر، فق
لوولترز: «يمكننا أن نحضر رجالنا يوم الاثنين.» ثم ت
إلى أليسون: «إذا كان هذا يناسبك.»

لم تعلم ما إذا كان يشجعها أم يتصرف تبعاً للقوانين. لم
كن تسمح لنفسها إلا بأقل ما يمكن من الراحة... ذلك ان
الحياة علمتها ذلك. إذا هي سمحت لنفسها بالراحة،
ستنقلب الأمور ضدها.

أجابته قائلة: «لا بأس بذلك بالنسبة إليّ، يمكنني أن
جعل الرجال على استعداد في السابعة.»

فقال مقترحاً: «أو الثامنة؟»

وإذ رأت أنه من الرجال الذين يحبون التأخر في النوم،
قد لا يحضر على الاطلاق، تاركاً شريكه يدير العمل في
ركز البناء، قالت له منتقدة: «هل تحب البقاء في السرير؟»

فأجاب بابتسامة بطيئة ذات معنى: «إذا كانت المناسبة
ستدعي ذلك.» عضت شفتها وقد خاب أملها، كيف بإمكانها
ن تعمل مع مثل هذا الرجل المزعج؟

قاطعهما شاد بسرعة وهو يقف بينهما: «كنا، في الواقع،
فكر في أن الساعة السابعة قد تكون مبكرة لابتداء العمل،
هذه منطقة سكنية، والسابعة هو وقت مبكر لإحداث صوت
الات المزعج.»

نظر إلى أليسون منتظراً منها الموافقة، فقد تملكه شعور
ان دوره الأساسي في هذا العمل سيكون دوماً صانع سلام،
جعلته هذه الفكرة يبتسم، منتظراً وصوله إلى بيته ليخبر
رته بأن الحب قد عثر على أنجلو مارينو أخيراً، ستتملك
هجة الأم. ولكنه، في أعماقه، كان يشك في أن أليسون
ابادله الحب.

استقامت أليسون في وقفتها، فقد انتبهت إلى أنها تفرك
يديها بسبابتها، وهي عادة عصبية تملكتها منذ الطفولة.

كم من المرات وقفت قلقة متوترة بهذا الشكل أمام والد
أثناء فترة نموّها؟ كان عدد ذلك لا يحصى، وصرفت هذ
الأفكار عن ذهنها، وهي تلتقط حقيبة أوراقها متمهل
لتتمسك بها موقفة بذلك يدها عن الحركة وهي تقول لأنجل
برزانة: «لا بأس يمكن للعمال أن يبدأوا العمل في الثامن
ولكنني أحب أن أقابلكما في موضع العمل يوم الاثني
الساعة السابعة والنصف تماماً.»

فسألها متكهناً وهو يرى النظرة الصارمة: «أهي مبار
بالمسدسات؟» تساءل عما يجعلها تشعر بالحاجة إل
رؤيتهما بهذا الشكل المهدد شخصياً؟ وكم يحتاجان م
الوقت لكي يستطيعا حملها على الثقة بهما؟ أو به هو عل
الأخص؟

مضت لحظة استمتعت فيها أليسون بفكرة المبار
القديمة الطراز هذه، والتي تنتهي هي فيها منتصرة.
أسوأ أن تكون الأمور قد تحضرت هذه الأيام.

أجابته: «الخيار في ذلك هو لك، يا سيد مارينو. كل
في الأمر هو أنني رأيت أن الوقت ذاك مناسب لإيضاح بع
قواعد العمل.» ونظرت إلى شاد تنتظر ما سيقوله، فقد ر
أعقل الاثنين. ذلك أنها لم تكن ترى تألقاً غريباً في عي
لدى النظر إليها.

أجابها شاد: «هذا حسن بالنسبة إليّ.»

فتحت حقيبة أوراقها: «هاك بطاقتي.» لقد تعم
إعطاءها لشاد وليس لأنجلو، وهي تتابع قائلة: «اتصل
إذا حدث ما يجعلك تغير الموعد.»

فتح أنجلو لها الباب بينما كانت تومىء لوول

بالتحية، ثم خرجت دون أن تزعج نفسها بالنظر إليه، وصدى وقع حذائها يتجاوب في الممر.

وحالما خرجا، أخذ أنجلو يصفر بفمه، فسأله شاد وهو يفكر في أليسون: «أراك تحب مجابهة الأمور الصعبة، أليس كذلك؟» فهو لم يعرف امرأة قط تميل إلى مقاومة اهتمام رجل بها، مثل هذه المرأة، ربما باستثناء زوجته في البداية، ولكن ذلك كان أحد الأسباب التي جذبته إليها.

جذب أنجلو ربطة عنقه ثم دسها في جيبه وعاد ففتح زرين من قميصه وهو يتأوه ارتياحاً، فقد كان يكره الرسميات وتشعره بالاختناق، وقال يجيبه: «أنا دوماً أحب التحدي.»

هذا بينما كان أنجلو يحب بطبيعته الأمور السهلة، ما جعل شاد يضحك قائلاً: «منذ متى؟»

نظر أنجلو إلى ساعته، ثم نظر إلى شاد ضاحكاً: «آه، فقط منذ حوالي ساعتين ونصف.»

الفصل الثالث

استغرق وصول أليسون إلى مكاتب شركة كونراد وولده، حوالي الخمس وثلاثين دقيقة.

كانت المكاتب والتي تحتل الطابق الرابع من البناء، تطل على منظر رائع على المحيط الباسيفيكي، وليس معنى هذا ان والدها وقف مرة ينظر من النافذة حتى انها تشك في انه مايلز كونراد، قد علم قط بأن البحر موجود خلف نافذته.

اركنت سيارتها في المكان المخصص لذلك تحت البناية، كان زحام السير بالغاً بالنسبة إلى هذا الوقت من النهار ما جعل الرحلة اطول من المعتاد بربع ساعة. ولكن هذا الوقت الزائد لم يكن كافياً لكي تجد الكلمات المناسبة التي تبلغ بها والدها عما حدث. ليس عليها سوى ان تصارحه بالأمر مباشرة وبشكل فظ، وتملكها الهلع وهي تفكر في ما عسى ان تكون ردة الفعل لديه.

دخلت إلى المكتب الخارجي ثم أومأت تحية السكرتيرتين امام باب مكتب والدها.

سألتها ترايسي وهي صغراهما: «ماذا كانت النتيجة يا سوني؟»

فأجابت أليسون: «على ما يرام.» وعبست وهي تنظر إلى باب مكتب والدها. «هل هو في الداخل؟»

فأومأت فيليس سكرتيرة والدها منذ حوالي العشرين عاماً: «انه في انتظارك.»

كانت هي تعلم ذلك، ولكنها كانت تأخذ عدة ثوان تعد نفسها فيها للمحنة التي أمامها، كانت تحب والدها للغاية ولكنها تكره التعامل معه. وأخذت تفرك ابهامها بسبابتها، ثم قبضت يديها إلى جانبيها محدثة نفسها أن من السخافة ان تشعر بكل هذا الخوف من والدها حتى ولو كان رئيسها في العمل.

تنفست بعمق، ثم استقامت في وقفتها تستجمع قواها كما اعتادت على الدوام كما كانت على وشك رؤية أبيها، ثم فتحت الباب بخفة ودخلت.

كان مايلز كونراد جالساً خلف مكتبه، مركزاً انتباهه على عمله، لم يكن مايلز يحب استعمال الكومبيوتر كغيره من الرجال الذين يعملون تحت إمرته. فهذا من عمل سكرتيرتيه، اما ملاحظاته فقد كانت جميعاً بخط يده. على الأقل لم يسلبه حادث الإصطدام ذاك فائدة يديه.

وقفت أليسون عند العتبة تنتظر، ان أول ذكرياتها عن والدها صورته جالساً وراء هذا المكتب كانت في حوالي الثالثة من عمرها حينذاك، وكانت أمها قد اخذتها لتأكل في ذاك المطعم المرسوم على جدرانه مهرجون، وبعد ذلك مرتا على المكتب هذا. ورغم تأنيب أمها لها فقد ركضت أليسون إلى الداخل تتملكها الإثارة لرؤية والدها. لم يرفع بصره اليها حينذاك، أيضاً، وعقدت ذراعيها فوق صدرها وهي تفكر في ان هناك اشياء لا تتغير أبداً. والتوت شفتاها بارتسامة ساخرة.

مرت دقائق كان يعلم اثناءها بوجودها. ولكنه كان يتعمد هذا، وتساءلت عما يسره في التصرف كطاغية.

وضع مايلز قلمه على المكتب، ثم ثبت نظارتيه

السميكتين على انفه الرائع الشكل، فقد كان دوماً رجلا وسيماً، ولعل هذا ما جذب أمها اليه في الدرجة الأولى.

«لقد تأخرت.»

فهمت ذلك بمثابة دعوة لها للدخول والجلوس ولكن جلوسها كان أقرب إلى الجثوم، ولعلها أرادت ان تعبر بذلك عن نوع من الثقة بالنفس. فقد برعت في الظهور بذلك الدور بعد كل تلك السنوات، ذلك انها منذ وفاة والدتها، لم تشعر قط بالإرتياح في وجود والدها، ولكنها لم تجعله قط يشعر بعدم ارتياحها هذا، فهذا سيجعله يشعر بالإنتصار واجابت «كان ازدحام الشوارع بالغاً.»

فقال بصوت جامد منخفض: «كان عليك ان تحسبي حساب ذلك.»

رأت على مكتبه رسالة من شركة شيريل وببطء أمسك بطرفها تديرها باتجاهها، تساءلت عما إذا كانت سلسلة الفنادق عادت للإمتداد، ذلك ان شركة كونراد وولده كانا تعاملت معهم.

اجابته: «لقد فعلت.»

رفع عينيه إلى وجهها ببطء اشبه بقاضي يستمع إلى المتهم قبل إصدار الحكم، ثم اعاد الرسالة نحوه وهو يقول «ماذا حدث؟»

«لقد فشلنا في الفوز بالمناقصة.»

رأت من التعبير الذي بدا على وجهه أنه كان يتوقع ذلك منذ فهذه نظرته اليها على الدوام، لم تزدها مرور السنين سوى وثباتاً... كما لم يكف ذلك عن بعث المرارة والألم إلى نفسها طالما عنفت نفسها على سطحيتها هذه وعدم نضج

ولكنها مازالت تخفي مشاعرها هذه نحو أبيها، تصون بذلك كرامتها، هذا بينما في داخلها كان الألم لا يبارحها فهو هناك على الدوام.

ما كان ينبغي لامرأة ناضجة في التاسعة والعشرين ان يحبطها التماس رضا والدها. لقد عنفت نفسها لوضعها هذا مراراً وتكراراً، ولكن ها هي ذي ما زالت نفس المشاعر تطاردها، ربما ما كان رضاه ليعني كثيراً لو انها سبق وحصلت عليه مرة واحدة على الأقل.

ولكن ما يلز كونراد لم يكن بالرجل الذي يطري أياً كان، خصوصاً هي، فهو يتطلب الكمال على الدوام، من نفسه كما من أولئك الذين يعملون معه. فإذا كان ذلك فهو الراضي والذي يعتبره حقه. ومنذ اصبح قعيد كرسي بعجلات، اصبح أسوأ من ذي قبل.

اخذ مايلز يتفرس في وجه ابنته الوحيدة بإمعان، وقد بدا انعدام الصبر في عينيه الزرقاوين الفولاذيتين: «هل ستخبرينني كيف حدث ذلك، ام ان عليّ ان استفهم عن ذلك كتابة؟»

ساورتها رغبة في النظر بعيداً، ولكن هذا سيعد جبناً، وهي لم تكن جبانة قط، رغم تكهنها بأن والدها ربما يريدها كذلك.

«سنحفر الأساس لتحقيق المشروع يوم الاثنين القادم.»

ضاقت عيناه: «كانت نتيجة المناقصة حسنة، إذن؟»

فنهضت واقفة تطرد بذلك ما يهددها من توتر: «هذا ما يبدو. فهي حسنة إلى حد تغيرت معه مرتين.»

كان بجانبه فنجان شاي كانت فيليس أحضرته لتوها، فرفعه إلى شفتيه واخذ منه رشفة وبصره لايبارح وجهها. ثم وضعه بشيء من العنف «ما هذا الذي تهذين به؟»

نهضت باستقامة، وسرعان ما تملكها شعور بالذنب وهي ترى النظرة التي بدت في عيني والدها. ذلك ان لديها ساقين يمكنها أن تقف عليهما، بعكسه هو، وكان ذلك ذنبها. فعادت تجلس وهي تقول: «انني لا أهذي، يا أبي، وإنما احاول ان اجد الكلمات المناسبة لكي اخبرك بها بأن المناقضة لم ترس علينا وحدنا.»

«آه.»

كانت كلمته هذه مغلفة بالثلج، تبأ لذلك فهي لم تعد في الخامسة من عمرها، انها في التاسعة والعشرين. وعندما تخرجت من كلية الهندسة كانت من الأوائل... وذلك لكي تريه فقط لانه كان قال ان ليس لديها الكفاءة كذلك، كان بإمكانها ان تبني الأشياء وتجتاز العقبات التي تقف في طريقها وذلك منذ تعلمت المشي. فلماذا تشعر دوماً بعدم الكفاءة عندما تكون قريبة منه؟

لأنه كان يريدها ان تشعر بذلك، فهذا يجعله مسيطراً عليها. ولأنها كانت تشعر بمسؤوليتها عن ملازمته الكرسي ذي العجلات هذا، فقد تركته يفعل ذلك.

قالت: «يبدو ان مارينو وماكليلان قد قدما نفس العرض.» لقد كانت هي التي جهزت العرض، وهو سيلومها لذلك، تماماً كما اعتاد ان يفعل إزاء كل خطأ تقع فيه.

فردد يقول: «مارينو وماكليلان؟ يبدو ذلك وكأنه رسم فرقة هزلية من الدرجة الثانية.»

شعرت بالغيظ لاستخفافه هذا، انه لا يعلم شيئاً عنهما، فكيف بإمكانه ان يقلل من شأن الآخرين بهذا الشكل، وذلك بإشارة من يده؟ ملقياً ملاحظات لا مبرر لها؟ كانت تعرف جواب ذلك فقد رأته يفعل هذا طوال حياتها.

«انهما ليسا من الدرجة الثانية، إذ يبدو انهما من المقاولين الأكفاء تماماً.» لم يكن لديها فكرة عما دفعها إلى هذا القول، وربما هو الغضب من غطرسة أبيها هذه.

رفع حاجبه متسائلاً. فقد ساءه استنكارها إلى حد بالغ، ولكنه كان راغباً في الاستماع إذا كان في قولها ذاك صحة، فسألها: «هل رأيت عملهما؟»

كان بإمكان والدها ان يعرف الكذب، وهكذا جربت حظها، فأجابت دون ان يطرف جفناها: «نعم.»

«هكذا إذن.» ودفع كرسيه ذا العجلات إلى الخلف قليلاً مبتعداً عن المكتب، كان طراز الكرسي آخر ما وصلت إليه الحضارة في التقنية. فقد كانت بشكل كرسي مكتب سوداء اللون تتحرك بلمس اليد، وتتجاوب مع كل رغبة تخطر له، ولكنه كان يكرهها، وكانت أليسون تدرك ذلك.

«اعدي قائمة لأجلي، فانا أريد ان أرى بنفسي بعض نماذج اعمالهما.»

«سأعدها حالاً.» كان عليها ان تحضر القائمة من مارينو، وهذا يعني الاتصال به، واخذت تفرك إبهامها بسبابتها.

كان استياء مايلز واضحاً من هذا الترتيب، فقال: «لا أحب ان أقرن اسمي باسم شخص آخر.»

بعد ان أمضت سبع سنوات في هذه الشركة، مازال يقول: «شركتي» وليس «شركتنا» لقد كانت تضرب رأسها بجدار من الصوان، وقالت: «أعلم ذلك. ولكن لم يكن ثمة مناص من هذا، ما دمنا نريد ان ندخل في هذا المشروع.»

لقد كانت تعلم ان كرامته مازالت مهمة بالنسبة إليه، كشأنه على الدوام.

«ما هو الترتيب الذي تقرر إذن؟»

كانت ماهرة في سرد التفاصيل: «سنعمل معاً في المشروع مناصفة، ولن يصدر أي قرار بشأن أي شيء دون موافقة جميع الأطراف.»

فقال بغيظ: «لا أريد ان ينظر احد من فوق كتفي.»

«عملياً، سيكون ذلك من فوق كتفي انا.» قالت ذلك وفكرة كون انجلو هناك يوماً بعد يوم، لم ترق لها، لم تكن تظن، بعد اجتماعها الأول ذاك في مكتب وولترز، لم تكن تظن ان انجلو سيكون موجوداً في ناحيته إلا إذا كان هناك اجتماع فهو سيكون ثانوياً في الأهمية وكانت هي تعلم ذلك.

أجابها والدها يذكرها: «الشيء هو نفسه. وماذا عن المال؟»

«الشركتان تحصل كل منهما على خمسة اثمان العطاء.» قالت ذلك وهي تنظر اليه، فقد كان المال يستهويه على الدوام.

فبدت عليه الدهشة: «اكثر من نصف المبلغ لنصف العمل؟ هل هي فكرتك؟»

كانت تتمنى لو بإمكانها ان تنسب ذلك لنفسها لترى فقط ما سيقوله، ولكنها قالت: «انها فكرة أنجلو.»

استغربت سهولة لفظها لاسم ذلك الرجل، فقد كان يبعث على الغيظ ولا بد سيسبب لها صداعاً اثناء عملهما معاً بسلوكه الذي يحسبه ظريفاً، ولكنها عندما انتقده والدها، شعرت بما يدفعها إلى الدفاع. ولكنها عللت ذلك بشعور الثورة على أبيها دون ان يكون لذلك الرجل نفسه علاقة به.

فجذب والدها نظارتيه ليحدق اليها قائلاً: «انجلو؟ ومن هو انجلو هذا؟»

«انجلو مارينو، واسم شريكه شاد ماكليلان.»

فقال بارتياب: «يبدو عليك وكأنك تعرفينه شخصياً.»

رأت النظرة في عيني والدها، وربما ظن نفسه يشم رائحة مؤامرة، وأثار غضبها البالغ ان يظن بها شيئاً كهذا، فقالت: «كلا، ولكنني أنوي ذلك، فالمرء يجب ان يعرف دوماً شخصية منافسه.» ونهضت واقفة، ثم التقطت حقيبة اوراقها، ان لديها عملاً يجب ان تقوم به وهي تتابع قائلة: «لقد كنت علمتني أنت ذلك.»

«يدهشني تذكرك لذلك.»

«انني اتذكر كل شيء.» وألقت عليه نظرة ذات معنى، ولكن كان واضحاً انه لم يشأ ان يرى المعنى الخفي في كلماتها ذلك وهو يقول: «اهتمي بذلك، هل قلت خمسة أثمان؟»

«نعم.»

«وما هي العقوبة إذا لم ننه كل مرحلة في وقتها.»

«ما زالت هي نفسها.» كانت تعلم ما يفكر فيه، فقد كانت العقوبة غير معقولة، إذ كانت تمس الكرامة، أما الآن فقد تغيرت، فقد كثر المشتركون.

فهز رأسه: «من حسن الحظ ان أنشأت شركة ذات كفاءة مالية عالية، ولو كنت تركتها بين يديك لأفلسنا في خلال شهور.»

«ان خمسة أثمان العطاء لن يجعلنا فقراء، يا أبي.»

لقد كان جدها هو الذي أنشأ الشركة، ثم أدخل فيها والدها وعمها بعد ذلك، وبالتعاون معاً، جعلا منها هذه الشركة الضخمة الناجحة التي هي الآن، لقد كان جدها توفي على مكتبه أثناء العمل، وذلك بنوبة قلبية بعد أن بقي زمناً يتجاهل اعراض المرض إلى ان فات الأوان. عند ذلك تقاعد عمها، تحدوه الرغبة في الاستمتاع بحياته قبل ان يفوت

الأوان. وكان والدها قد اخذ عطلة ثلاثة ساعات ليحضر بها الجنازة ثم يعود إلى العمل.

كان مايلز يكره الوقاحة فقال لها: «إن لك على الدوام الفاظاً بديعة.»

لم تحمل نفسها عناء التظاهر بالإبتسام وهي تقول «هذا يتناسب مع الذكاء، يا أبي، وقد ورثت هذين عنك.»

وفكرت بصمت في ان القلب قد ورثته عن أمها.

انها مازالت تفتقد أمها بعد كل السنوات التي مرت، فقد كانت في الخامسة حين توفيت مرغريت كونراد، فقد كانت أمها تمثل لها كل ما هو دافيء ونفيس، لقد كان الشك يراود أليسون بقوة احياناً في ان أمها ذوت من نقص الحب والرعاية، ذلك انه لا يكاد يوجد في الحقيقة ما هو بقسوة قلب أبيها.

كان هذا هو السبب في انها في نهاية كل يوم، كانت تتساءل عما يدعوها إلى الاجتهاد في محاولة الوصول إلى قلبه ذاك، ثم تفترض أن جزءاً من ذلك السبب هو توق كل طفل، عادة إلى الحصول على حب والديه إلى حد ما.

اما بقية السبب فهو الشعور بالذنب، وكان هو حريصاً على أن يذكرها دوماً بذلك، ان لم يكن بالإشارة السافرة إلى إصابته بالعجز بسبب ذلك الحادث، فهناك دوماً الكرسي ذو العجلات يذكرها به. يذكرها بتلك الليلة منذ خمس سنوات تقريباً، عندما قررت ان تخبره بأنها اخيراً كفت عن محاولاتها إرضاءه، وان الثقافة والنضال في سبيل دخول شركته، الدفاع عن نفسها إزاء الملاحظات والمعاني الخفية الدائمة قد أرهقها.

كانت حقيبة ملابسها في سيارتها جاهزة بعد ان فرغت

من توجيه حياتها إلى ناحية أخرى. فقد كانت تلقت رسالة بالقبول من شركة تايلور وويلز وهكذا ستلتحق بشركة بناء في نيفادا حيث ابتدأت حركة بناء المساكن بالإزدهار هناك وبالتالي الحاجة إلى مهندسي بناء موهوبين.

كان هدفها بداية جديدة بعيداً عن أبيها. كانت تريد حياة خاصة بها بعيدة عن ظله... عن عبوسه الدائم الذي لا ينفك يرى فيها نقصاً.

كانت قد قطعت تذكرة سفر وحجزت في الطائرة، ولم يبق سوى إخباره بنيتها، فقد تركت ذلك إلى النهاية متجنبة بذلك مشهد الوداع الحزين، لم تكن تريد ان تمنحه فرصة يستمر فيها أياماً يعيرها بنكران جميله وكل ما فعله لأجلها، أو الاستماع إلى اتهامه بسرقة عملائه، فهذا أيضاً مما سيقوله.

كانت تطوعت لتوصيله بسيارتها إلى اجتماعه في فندق شاريدان، كان المطر قد بدأ ينهمر بغزارة إثر عاصفة ربيعية غير معتادة. وكانت هي تبحث بعناية عن كلمات مناسبة تعلن بها استقلالها. وعندما وجدتها لم تجد الفرصة قط لإعلانها.

ذلك ان سيارة نقل من الناحية الأخرى للشارع قفزت نحوهما، ورغم محاولتها هي تفاديها إلا ان تلك السيارة اصطدمت بهما بقوة، وكان آخر ما تذكرته هو صرختها باسم والدها.

بقي والدها في حالة غيبوبة ما يقرب من الأسبوعين، أمضت كل دقيقة منها بجانبه رافضة تركه. كانت تمسك بيده تحدثه عن العمل والمشاريع، وكأنه مستيقظ مستمتعة في محاولة إبقائه مرتبطاً بالحياة. وبعد اسبوعين استيقظ وكأنما من كابوس. وإذا بالرعب يتملكه ان وجد نفسه وهو

الرجل الجم الحركة والنشاط والمزهو دوماً بلياقته الجسدية، وجد نفسه مشلول القسم الأسفل من جسمه.

هذا بينما نجت أليسون من الحادث بجروح سطحية وكدمات لاغير، هذا جسدياً، اما عقلياً فكانت قصة أخرى، لقد اصبحت مقيدة، فهي اذا لم تكن قد لامت نفسها لهذا الحادث، فهناك والدها يقوم به لأجلها، فهو الذي كان يعاملها من قبل بعدم مبالاة، قد اصبح الآن ملياً بالمرارة والنقد اللاذع لكل ما تقوم به، وكل قرار تتخذه سواء كان شخصياً أم مهنياً، وتعلمت هي العيش بهذا الشكل، نابذة الأمر من ذهنها إذا استفحل، أو احتماله وامعان النظر فيه.

كان عليها ان تكون بمثابة الساقين له كما قال لها عندما كان ما يزال في المستشفى، آخذاً طاعتها أمراً مسلماً، فليس هناك من عارضه قط، ولهذا لم يتوقع ان تختلف الأمور الآن، خصوصاً الآن.

لم تكن هي مؤهلة بشكل جيد لمثل هذا الوضع بطبيعة الحال، كما اخذ يقول على الدوام، وهو يحدق إليها من فراش المرض في المستشفى، ولكن رباط الدم لابد انه يفيد نوعاً ما، وعليها ان تقوم بذلك مادام ليس له إبن.

وهكذا بقيت لأن هذا كان واجبها، وهي قد نشأت على تقدير الواجب.

وها هو ذا الآن يقول لها: «من الأفضل ان تستخدمي عقلك هذا الذي تفتخرين به، في العمل.»

فكبتت رداً جافاً على قوله هذا إذ لم تجد فائدة من إخباره بأنها كانت حشرت في ساعة واحدة بين أمرين فإما ان تكون في المكتب الساعة السادسة، وإما الذهاب إلى

الاجتماع في مكتب وولترز بشأن ملحق السوق هذا، فهي تضع في خدمة الشركة ساعات اكثر مما يضعه أي شخص آخر، هذا باستثناء ما تنفقه عليه هو من وقت، ولكن لم يكن يكفيه شيء مهما كثر، ولن يكفيه.

إستدارت أليسون للخروج دون ان تتفوه بكلمة دفاعاً عن نفسها، لم تكن تريده ان يشعر بالشماتة فيها، ولكن صوته تبعها إلى الباب.

«سأراك عند العشاء.»

فوقفت ويدها على أكرة الباب، لتقول دون ان تلتفت: «طبعاً.»

لقد كانت عادت، بعد حادث الاصطدام، إلى البيت لتساعد إدنا مديرة منزلهما وتعتني بأبيها اثناء طور النقاهة، وعندما تحسن اخبرها بأن ليس ثمة سبب يدفعها إلى ترك البيت مرة أخرى، لقد بدا لها ذلك منطقياً حينذاك خصوصاً بعد ان كانت تركت شقتها عندما قررت السفر إلى نيفادا، لم يكن لديها سبب يجعلها تبحث عن شقة أخرى، فالبيت كان افضل مكان للعيش، بعد ان اصبحت حياتها الآن مرتبطة بأبيها. فالمسألة هي مسألة تخفيف عن ذنبها.

تنفست بعمق وهي تشعر بالارتياح لخروجها من مكتبه، ثم اسرعت إلى مكتبها، فهو سيطلب منها تلك القائمة قبل انتهاء النهار، أو حتى الساعة. فهو ليس بالرجل الذي لا يأبه لما يجري. ووقفت أليسون عند مكتب سكرتيرتها: «روندا، أريد رقم هاتف شركة مارينو وماكليلان، انها شركة بناء.» ونظرت إلى ساعتها ثم اتجهت نحو مكتبها، لم يبق وقت للخروج لتناول الغداء، وستطلب إرسال شطيرة لحم اليها.

فقالت السكرتيرة: «ربما هو موجود على البطاقة.»

فوقفت أليسون: «أي بطاقة؟»

قالت روندا الشاعرية الحمراء الشعر، بابتسامة واسعة: «البطاقة التي بصحبة الأزهار.»

فحدقت أليسون اليها: «أي أزهار.»

وبدلاً من الجواب، نهضت روندا وفتحت باب مكتب أليسون، كان المكتب رغم صغره نسخة أخرى من مكتب أبيها ما عدا ان لديها جهاز كمبيوتر، كما كانت الستائر مفتوحة على منظر البحر، وهذا شيء كانت تصر عليه أو لعله الشيء الوحيد الذي اصرت عليه.

أشارت روندا بابتهاج إلى باقة ضخمة من أزهار اسمها (لا تنسني) والتي كانت موضوعة على مكتب أليسون في سلة من القش، كانت هذه الأزهار تبدو شاذة تماماً عن محيطها في ذلك المكتب العملي البحت، فقد كانت أزهاراً أنثوية رقيقة ناعمة ما اثار في نفسها مشاعر جعلت الحنين يتملكها لم تكن تدري لماذا.

نظرت إلى روندا، لا بد ان هنالك خطأ ما.

«هل هي لأجلي؟»

فاومأت روندا: «ان اسمك عليها.»

«ولكن ممن...؟» لم يرسل اليها أحد أزهاراً قط من قبل، فهي لم تنشىء علاقة من هذا النوع مع أي شخص في حياتها، حتى الاشخاص الذين خرجت معهم في مناسبات اجتماعية، لم يكونوا من النوع الذي يرسل أزهاراً، فقد كانوا عمليين عقلانيين.

لكن الأزهار ليست شيئاً عملياً، فهي تموت مخلفة شذاها ذكرى. ذكرى دائمة لا تموت.

تقدمت أليسون من المكتب ببطء، ومرت بيدها على أوراق زهرة منها، كانت ناعمة حريرية الملمس. وعاد إليها الحنين مرة أخرى، مزيجاً بشعور بالضيق ملأها بالإضطراب.

سألتها روندا: «لماذا لا تفتحين البطاقة المرفقة فقد سبق وفعلت انا ذلك.»

«نعم، أعلم ذلك.»

كانت بطاقة مكتوبة باليد، ما جعلها واثقة من انها من انجلو نفسه وليس من صاحب متجر زهور تلقى أمراً بذلك، هاتفياً، كانت الكتابة بخط كبير كسول ما جعلها تفكر فيه، حتى ولو لم تخبرها روندا، لم يكن على أليسون إلا ان تنظر إلى التوقيع لتعرف ان الأزهار منه.

وقرأت: «في انتظار العمل معك ـ انجلو.»

تحولت نظراتها إلى الأزهار حيث سمحت لنفسها لحظة بتشمم شذاها وامتاع نظرها بها، فالمكتب بحاجة إلى شيء كهذا، ثم انتبهت إلى ان روندا مازالت واقفة تنظر اليها، فالقت بالبطاقة على المكتب بإهمال وهي تسألها: «متى وصلت هذه؟»

التقطت روندا البطاقة واعادتها إلى مغلفها ثم اسندته إلى السلة وهي تتنهد قائلة: «منذ حوالي الخمس دقائق، انه سريع العمل.»

ضمت أليسون شفتيها بشدة، نعم انها تعرف هذا النوع من الرجال، وقالت: «سريع اكثر من اللازم.»

ألقت عليها روندا نظرة ذات معنى: «احب ان اقول ان بإمكانك ان تستعملي بعض هذا.»

كانت وروندا على علاقة قديمة جداً، فهما لم تكونا رئيسة وسكرتيرة عاديتين، بل كانتا اقرب ما تكونان إلى صديقتين.

قالت لها روندا وهي تعيد تنظيم بعض الزهرات: «انك بحاجة إلى رجل في حياتك.»

أجابت أليسون: «في حياتي كثير من الرجال.»

«لا أعني اولئك الذين يعملون بالبناء، أعني رجلاً يرسل اليك أزهاراً، مثل هذا.» وربتت على المغلف.

حدقت أليسون إلى الأزهار: «انه يعمل في مجال البناء هو أيضاً.»

فاتسعت ابتسامة روندا: «هذا افضل.»

جلست أليسون إلى المكتب، ثم أبعدت سلة الأزهار من امامها: «روندا، أليس لديك برنامج تديرينه؟»

فأومأت روندا تقول: «نعم، ولكنني افضل ان أدير برنامج حياتك لعدة دقائق.»

كانت أليسون قد فتحت الآن ملفاً على الكمبيوتر. «اتصلي فقط برقم الهاتف ذاك.»

«سأطلب أنجلو، أليس كذلك؟»

كانت أليسون تعرف هذه اللهجة والتي تعني ان روندا تقوم بدور وسيط زواج، فقالت: «ان لديّ ما اتحدث عنه مع السيد مارينو.»

فقالت روندا وهي تتجه نحو الباب: «الحوار المفتوح بين شخصين هو دوماً شيء جيد.»

نظرت اليها أليسون شاعرة بما يشبه التحذير في اعماقها، وفجأة شعرت بأنها لا تريد ان تتحدث إلى انجلو، ان الإتصال به الآن سيبدو وكأنه عذر للتحدث إليه، فهي لا تريد ان يبدر منها أي إشارة قد يسيء فهمها. فقالت: «لقد غيرت رأيي، اتصلي بشريكه شاد ماكليلان على الخط.»

توقفت روندا عند الباب تسألها: «كيف يبدو شكله؟»

عادت أليسون إلى العمل امام شاشة الكمبيوتر وهي تقول: «شكله غير مهم، فهو متزوج.»

عندما تصاعد رنين الهاتف بجانبها، ضغطت على زر الهاتف بينها وبين روندا لتسألها: «نعم؟»

فقالت روندا بمرح: «ان انجلو مارينو على الخط.»

أمسكت أليسون بالسماعة وقد تملكها الغيظ. «روندا اظنني اخبرتك انني أريد الإتصال بالسيد ماكليلان.»

«انه مشغول.»

لم تخدع أليسون لهجة روندا البريئة لحظة واحدة، وأدركت انها لم تحاول قط ان تطلب ماكليلان على الخط، فقالت: «سنرى.»

كانت روندا تعرف رئيستها بما يكفي لكي يجعلها تتكهن بما تفكر فيه فقالت: «انك لا تستطيعين ان تطردني فأنا فرد في الإتحاد العمالي.»

فقالت أليسون وهي تغمض عينيها: «لا تحاولي اغرائي حسناً. صليني به.»

فسمعت ضحكة روندا الخافتة.

الفصل الرابع

كانا في طريقهما خارجين من السوق، عندما وقف أنجلو فجأة أمام مكان لبيع الأزهار قرب المخرج الخلفي. فسأل شاد: «إن لديك بطاقتها، أليس كذلك؟»

أخرجها شاد من جيبه يريه إياها: «أهي هذه؟»

فاختطف أنجلو البطاقة من يده وهو يقول: «شكراً.»

انتظر شاد باستسلام بينما أخذ أنجلو في عمل قد يؤثر على بقية حياته. وابتسم وهو يرى أنجلو يأمر بإرسال زهور إلى تلك المرأة. إن لديه ما يخبر به زوجته جاني وأخته دوتي هذه الليلة. ونظر إلى ساعته... هذا إذا هما خرجا قط من السوق.

كان أنجلو يقول للبائع وهو يمنحه عشر دولارات اضافية: «أرسل هذه الأزهار الآن حالاً.»

وسرعان ما اختفت الورقة المالية في جيب البائع الفتى وهو يقول: «تحت أمرك.»

فسأل شاد أنجلو: «هل يمكننا الذهاب الآن؟»

«بالتأكيد.»

دفع شاد الباب الزجاجي خارجاً من السوق وأنجلو في أثره.

سأله أنجلو وهو يدس محفظة نقوده في جيبه الخلفي: «ما رأيك فيها؟»

فأخذ شاد يختار كلماته بعناية. فهناك مشاعر عليه أن

يضعها في الاعتبار: «إنها تبدو غاية في الكفاءة.» وكانا الآن يسيران متجهين إلى سيارة شاد.

لم يكن هذا التقييم هو ما كان أنجلو يتوقع سماعه. فانتظر إلى أن فتح شاد له باب السيارة، ثم قال له: «ولكن الكمبيوتر هو أيضاً غاية في الكفاءة.»

«هذا هو قصدي بالضبط.»

كان شاد ماهراً دوماً في صياغة الكلام، ولكنه، في هذه اللحظة، لا يدري لماذا أعوزته الكلمات، لكنه ما لبث أن قال: «أنجلو. إنها جميلة جداً ولكنني دوماً اتصورك مع امرأة دافئة العواطف. بينما هذه أشبه بالضربة القاضية.»

فرأى أنجلو شيئاً من الصحة في ملاحظة شاد فقال: «إنها متحفظة فقط.»

«بل هي صخرة.» وعندما رأى الإنزعاج يسود ملامح أنجلو، قال له: «اسمع، يا أخي، كل ما في الأمر هو أنني لا أريد أن يصيبك أذى.»

توقفا عند الإشارة الضوئية، فالتفت شاد نحو الرجل الذي عرفه وأحبه اثناء أفضل أيام حياته. لم تكن تجمع بينهما وحدة الدم، ولكن جمعت بينهما ذكريات الحياة كلها. فقد كان أنجلو دوماً هو الذي يتقدم لمساعدة كل انسان. ومد شاد يده يربت باصبعه على صدر أنجلو، قائلاً: «هنالك الكثير من المحبة في هذا القلب. ولا أريد أن تدوس عليه الآنسة كونراد بكعبي حذائيها البالغين عشرة سنتمترات طولاً. هذا كل ما في الأمر.» وتغير لون اشارة السير فاندفع شاد يشق طريقه نحو الشارع العام.

«يمكنني العناية بنفسي.»

«هذا صحيح، وإنما في مجال البناء فقط. إن بامكانك بعث الرهبة والخوف في قلوب اشجع رجالك، ولكن دعنا نواجه الحقيقة، فانت مع امرأة مثل هذه أشبه بصحفة هريس.»

كان هذا، في رأي أنجلو، غير صحيح. وفي الواقع، فقد اعتاد أنجلو على فكرة الناس عنه بأنه سهل القياد في موقف العنف. ذلك أنه لم يجد قط سبباً يجعله يستعمل عضلاته. ولكنه، إذا ما احتاج الأمر، يحصل دوماً على ما يريد.

ضحك الاثنان، وتذكر شاد ما اعتاد سلفاتور مارينو أن يقوله على الدوام (كل ما هو آتٍ، آت.)

«أرى أنك وقعت في فخ هذه المرأة.» قال ذلك بابتسامة عريضة وهو يسمع جواب أنجلو: «نعم.»

«لماذا؟» نعم، لماذا هذه المرأة دون غيرها من النساء اللاتي طالما نظرن إلى أنجلو بأعينهن الفتية المليئة بالشوق، وذلك منذ زمن لا يستطيع شاد أن يتذكره؟

هز أنجلو كتفيه. فهذا شيء لم يخطر بباله في الحقيقة. ولكنه عندما رأى أليسون هذا الصباح، شعر بقلبه يقفز من موضعه. وكان في هذا الكفاية، فقد ادرك أنها هي من كان ينتظرها. وقال يجيبه: «سؤالك كسؤال ذلك الطفل لأبيه لماذا السماء زرقاء، يا أبي؟»

«هل هذه طريقتك الفلسفية في قولك: «لا أدري.»

ذلك أن جواب أنجلو كان عبارة عن سؤال. وكان حديث مماثل قد دار بينهما منذ ثلاث سنوات فقط كان وضعهما معكوساً حينذاك.

«لماذا اصررت على الزواج من جاني؟»

«كانت جذابة ومثيرة، وما زالت.»

«وكذلك نساء كثيرات غيرها.»

«ثم أنها كانت تحبني.» وكان هذا صحيحاً وإن لم تكن جاني تعلم ذلك حينذاك.

«وكذلك أليسون.»

فقال شاد: «نعم، لقد لاحظت ذلك.»

كان أنجلو يتوقع من شاد، دون كل الناس، التفهم وهو يقول: «الأمر لا يتعلق بشيء قالته ولكنه شيء أشعر أنا به.» كان رأى ذلك في عينيها... أحس به في سلوكها. نظر أنجلو إلى أخيه بإمعان، ثم سأله: «هل تدرك ما أعنيه.»

فعادت أفكار شاد إلى بداية حياته مع جاني، والتي لم تكن تريده، هي أيضاً، كانت في البداية قد حاولت إغلاق بابها في وجهه، ولكنه وضع قدمه في الداخل، كانت هذه هي البداية وأجابه قائلاً: «نعم، إنني ادرك ما تعنيه. إذن، فالأزهار هي لأجلها.»

«ولأجل دوتي أيضاً.»

لم يفهم شاد شيئاً: «هل أرسلت زهوراً إلى دوتي أيضاً؟»

فادرك أنجلو أن شاد قد نسي حديثهما السابق فقال: «ولماذا لا؟»

فهز شاد رأسه. إن لدى أنجلو قلباً يسع العالم. وعاوده الخوف عليه من أن يتحطم قلبه هذا.

لاحت أمامهما بناية هاوتون. وكانت هذه مؤلفة من ثلاث طوابق تحيط بها المروج الخضراء وأشجار الصنوبر من كل جانب. كانت مكاتبهما في الأرضي منها فاوقف شاد السيارة في الموقف وهو يسأله: «هل تريد أن تأكل شيئاً قبل عودتك؟»

في الحالات العادية، كان جوابه نعم. ولكن هذا لم يكن

وقتاً عادياً بالنسبة إلى أنجلو: «كلا. إن علي استيضاح بعض التفاصيل إذا كان علينا تركيز انتباهنا الكامل على بناء السوق للشهور القادمة.»

وترجل من السيارة ومن ثم لحق به شاد بعد أن اقفل سيارته، ليسيرا معاً إلى داخل البناية كان بابهما هو الأول إلى اليسار.

قال شاد: «إن دوتي تحب الأزهار، يا أنجلو إنها لفتة لطيفة منك.»

أخذ أنجلو يفكر في المرأة التي كانت خرجت من مكتب وولترز مستقيمة الكتفين كجندي متقاعد.

«أرجو أن تكون شريكتنا المقاولة تحب الأزهار هي أيضاً.»

«مخابرة هاتفية لأجلك، يا سيد مارينو.»

أعلنت شيرلي ذلك حالما مرا من أمام مكتبها. ثم ناولته السماعة بابتسامة مشجعة.

فقال شاد يغيظه: «تكلم عن الديب، يحضر في الحال.»

فقال له أنجلو: «هذه ليست طريقة طيبة للحديث عن زوجة أخيك المقبلة.» وكان يفكر في أن الوقت ما زال مبكراً لكي تتصل. شعر بشيء من التوتر فاعتبر ذلك دليلاً على صحة تقييمه لمشاعره نحوها. فهو لم يسبق له قط أن شعر بالتوتر بالنسبة إلى امرأة من قبل.

رأى أنجلو السكرتيرة التي تعمل لديهما، وهي تنظر إليه باهتمام. إنها أقاويل جديدة ستدور في المكتب، ولكنه لم يهتم بمن قد يعلم بالأمر.

«شكراً يا شيرلي، سأتلقى المخابرة في مكتبي.»

أغلق أنجلو الباب خلفه، ثم جلس على كرسي المكتب الكبير بكل راحة قبل أن يضع يده على السماعة وهو

يسترجع صورة أليسون، كيف كانت تبدو وهي تتحدث إليه بعد أن جمعتهما المناقصة معاً، والدهشة تسود ملامحها.

ترك السماعة وضغط على مكبر الصوت بدلاً منها.

كان يريد أن يملأ صوتها جو الغرفة محيطاً به من كل جانب، وقال: «مارينو.»

فسألته أليسون: «لماذا أرسلت إلي زهوراً؟»

آه، إنه صوت الحب. ولكنها فقط، لم تعلم بذلك بعد.

فتبسم ضاحكاً: «هذه أليسون، أليس كذلك؟»

فاستغرق استيعابها للإسم لحظة. ذلك أن كل شخص يناديها سوني. وعادت تسأله: «لماذا؟ لماذا ارسلت إلي زهوراً هذا النهار؟»

فاستقام في جلسته، وقوم صورة فوتوغرافية لدوتي على مكتبه. عليه أن يحصل على صورة جديدة لها بعد ولادة الطفل. وقال: «لقد ارسلت باقة إلى أختي. فقد علمت لتوي أنها حامل.»

«أرسلت زهوراً إلى أختك؟» بدا هذا السؤال بليداً في أذنيها، ولكن تصريحه البريء هذا جعلها تتخلى عن كل حذر. فهذا لم يتلاءم مع فكرتها عنه. اتراه ناوياً التخلص منها بسرعة؟

«بالتأكيد، ولما لا؟»

كان قد سمع لهجة عدم التصديق في صوتها.

فتساءل عما يجعلها عديمة الثقة بهذا الشكل.

«هل اشتريتها بالجملة؟»

فقرر ان يماثلها وقاحة، حالياً، فأجاب: «لقد جمعتها من حديقة منزلي الخلفية. وكانت زهورك هي (لا تنسني) بينما اخترت لأختي وروداً صفراء.»

نظرت إلى الباقة على المكتب. كان من الصعب ان تغضبها سلة أزهار، ولكنها حاولت ذلك بقولها: «آه، لا اظنني سأنساك.»

بدا قولها هذا وكأنه تهديد، ولكنه عزم على نسيان هذا الاحتمال، فقال: «أرجو ذلك.»

لم يكن قصدها تغذية زهوه. وساورها الغيظ منه لجعلها تشعر بذلك. تذكرت فجأة ما طلبه والدها منها فقالت: «إن اتصالي هذا بك ليس للتسلية، يا سيد مارينو.»

اتكأ إلى الخلف. فقد كان يعلم أن الأمر لن يكون بهذه السهولة. ولكنه كان مستعداً للتحدي. «كلا، لم اظن ذلك.»

لم يعجبها أن تبدو فظة، حتى بالنسبة إليه. فهي تكره الفظاظة. كل ما في الأمر أنه يبدو وكأنه يستفزها: «لم أكن أقصد أن أبدو سيئة المزاج. فالأزهار جميلة جداً...»

«لا يمكن أن تكون بمثل جمالك، ولكنني رأيتها تنقل إليك ما أريد قوله وذلك بشكل أفضل من الورود.»

فكرت في أنها لو كانت على شيء من العقل، لألقت بتلك الأزهار في سلة المهملات. ولكن الأزهار بقيت حيث هي، بينما قالت تسأله: «وما الذي تريد قوله؟»

«أحب أن اتعرف إليك، يا أليسون.»

فتملكها الجمود: «إننا سنعمل معاً لمدة اربعة أشهر قادمة.» وتمنت فجأة لو أن هذا لا يحدث فهي لم تشأ أن تتزعزع افكارها، وهو سيسبب لها ذلك.

لكن هذا لم يكن كافياً، وكانا، هما الاثنين، يعلمان ذلك. فقال: «إن الناس يعملون الواحد بجانب الآخر وذلك لسنوات ومع ذلك لا يعرف الواحد منهم الآخر مطلقاً.»

فذهب بها الفكر إلى والدها. إنها ابنته منذ تسعة وعشرين عاماً، ولكنه لا يعرف حتى اللون الذي تحبه... أو ما الذي يجعلها تبتسم ولكن ذاك هو والدها، وليس رجلاً ضخماً ثقيلاً أحمق يظنها ستسقط في حبه إذا هو أرسل إليها بعض الأزهار، وسألته: «ما هو قصدك يا مارينو؟»

لاحظ أنها لم تضف كلمة سيد إلى اسمه. واعجبه هذا. «انني لا أخطط لما يحدث بيننا.»

يخطط؟ اتراه يضع خططاً: «مارينو، لن يكون هناك كلمة بيننا.»

وراء حدتها هذه، لاحظ خوفاً كامناً... ممّ تراها تخاف؟ وأجاب: «هذا يقرره الزمن.»

يا له من رجل يثير الغيظ. من تراه يظن نفسه؟ وقالت: «كلا، بل هو قراري أنا. فأنا التي اكيف حياتي.»

بدت له الآن في غاية الخشونة، وكان هو يعلم أن مثل هذه الخشونة في شخص ما، إنما يحاول بها اخفاء ناحية ضعف، فقال: «إن الحظ يتدخل أحياناً.»

«أتعني كلبي؟ وما دخل كلبي في هذا الأمر؟»

أخذ يتخيلها في مكتبها، مقطبة الجبين وقد لوت شفتيها الممتلئتين عابسة. فقال: «إنه الذي عرفنا إلى بعضنا البعض، ولكنني كنت أعني، بقولي ذاك، شيئاً اكثر غموضاً من كلب دانمركي.»

لم تشأ أن تضيّع المزيد من الوقت في الغضب. فالشيء الوحيد لمعالجة هذا الأمر هو تغيير الموضوع: «إنني أحب أن اتطرق إلى الحديث عن العمل، يا مارينو.»

«وأنا كذلك.» كان يعني كل انواع العمل، المنتج منها والشخصي.

فتنهدت. لا بأس، لقد اعتادت العمل مع أشخاص بطيئي الفهم من قبل، ويمكنها ذلك الآن.

«أحب أن تكون لديّ قائمة ببنايات قمت أنت بانشائها.»

شعر برغبة في اغاظتها: «إذا كنت تريدين بذلك استقساء معلومات عن قدراتي...»

فكبحت رغبة في الصراخ في الهاتف.

«ما أريده هو ما قلته... قائمة بانشاءاتك. إن أبي مهتم بنوع عملك، هذا لأن اسمنا سيكون مرتبطاً باسمكم...»

«نعم.»

كانت تدرك أنه يعني شيئاً مختلفاً تماماً عما تعنيه هي، فقالت: «لا تمزح معي، يا مارينو، فأنا لا أحب المزاح.»

كانت هذه هي المشكلة، في رأيه، فقال: «ربما عليك أن تبدأي بذلك.»

«تباً لذلك، يا مارينو، إنك تتعمد إثارة اعصابي لو كنت أمامي في هذه اللحظة، لالقيت على رأسك ازهارك لا تنسني هذه.»

فقابل كلماتها هذه بالضحك. وكبحت هي كلمات اكثر قسوة تبادرت إلى ذهنها، فالشتائم لن تفيدها بشيء: «اريد القائمة، يا مارينو، غداً صباحاً.» وألقت بالسماعة مكانها بعنف.

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه انجلو وهو يضع السماعة من يده ويحدث نفسه قائلاً: «إنها تحبني.»

كان شاد قد ترك الباب مفتوحاً ليستمع إلى المكالمة، فقد اعتادا التدخل في شؤون بعضهما البعض، ما لن يجد معه سبباً يجعله يكف عن ذلك الآن. فقد بدا وكأنما أنجلو يحتاج إلى العون. عون من النوع الطبي.

فقال له: «تحبك؟ انك لم تذهب لفحص عقلك بعد أن هجرتك دانييل، أليس كذلك؟»

لم يهتم أنجلو بكلمات شاد هذه، وقال: «انه ليس عقلي، يا شاد، بل قلبي.»

فجاء شاد ثم قال: «إنها مشكلة سمع لديك إذا كنت تظن أن تلك المرأة تكن لك أي ذرة من الحب.»

بدت في عيني أنجلو نظرة جد وهو يجيب: «الناس تقولون أشياء كثيرة عندما يكونون في حالة خوف.»

«خوف؟ خوف من ماذا؟» ولم يكن شاد قد غير فكرته عن أليسون كونراد. فقد بدت له أشبه بسيدة تنفث النار. وقد يكون هذا حسناً ولكنه فقط لا يريدها أن تنفثه ناحية أنجلو.

قال انجلو وهو يشبك يديه خلف رأسه: «إنها خائفة مني.»

فهز شاد رأسه: «حسناً، إنك مخيف في الواقع، ولكن...»

لكن أنجلو ما لبث أن قرر عدم الاستمرار في المزح مع شاد، فقال بلطف: «أظنها خائفة من توثيق العلاقة مع رجل.»

«هل كل هذا يحدث بعد اجتماع واحد؟»

فرفع أنجلو اصبعين: «بل اثنين. لا تنسى أنني التقيتها صدفة هذا الصباح.» ونهض واقفاً وهو يتابع قائلاً: «حتى مرة واحدة تكفي إذا كان الشخص هو المناسب.»

نهض شاد بدوره وهو يقول: «إنك تتكلم الآن كأمنا بالضبط.»

هز أنجلو كتفيه وقال مازحاً: «لا بد من أن تكون المرأة على صواب ولو مرة واحدة كل حين.»

تذكر شاد ما بدا على وجه أليسون عندما تركت المكتب. ثم لهجتها الآن في الهاتف، فقال له: «أرجو المعذرة إذا كنت لم استأجر بذلة لحفلة العرس حتى الآن.»

«ما زال أمامك وقت.»

قال شاد وهو يتجه نحو الباب: «شكراً.»

فصاح أنجلو في أثره: «أربعة أشهر.»

فهز شاد رأسه واستمر في سيره.

* * *

حدثت أليسون نفسها بأن السبب الذي جعلها تهتم بأناقتها صباح الإثنين التالي هو لأنها أرادت أن تجعل ذلك الرجل الذي أرغمت على العمل معه. أن يفهم أمراً. وذلك الأمر هو: سيدة أعمال ذات كفاءة، ومهندسة خبيرة. وبوصف اكثر دقة، امرأة ستكسر ركبتيه إذا هو لم يبق بعيداً عنها أكثر من عشرة أقدام على الأقل ولأسباب غير شؤون العمل ومن الصعب أن تحصل على كل ذلك إذا هي اقتصرت في ملابسها على بنطلون رمادي وسترة واسعة.

تأملت نفسها في مرآة طويلة في غرفتها وهي تعض شفتها السفلى. ربما لون القميص الوردي أكثر لمعاناً واشراقاً مما يجب فهو لا يعبر عن سلطة أو نفوذ. وألقت نظرة على ساعتها. لم يعد لديها وقت لتغيير ملابسها وإلا تأخرت. وعبست، إنه سيشمت بها إذا تأخرت. حسناً، إنها لن تتأخر حتى ولو كان قميصها غير مناسب، رفعت كمي سترتها إلى أعلى وقد فرغ صبرها، وتمنت لو بإمكانها أن تأخذ معها كلبها.

مرت أليسون بيدها على وجهها وتنفست بعمق. ما الذي حدث لها؟ إنها تتصرف وكأنها ذاهبة إلى موعد للنزهة وليس إلى اجتماع يتقرر فيه منهاج العمل. كان عليها أن ترتدي فقط بنطلون جينز وقميص عمل كما اعتادت دوماً اثناء العمل.

تناهى إلى سمعها صوت سيارة والدها، يقودها جيريمي،

المصارع السابق والذي يزن ثلاثمائة رطلاً والذي هو سائق والدها وحارسه الخاص، وكان يأخذ والدها إلى مكتبه. نفست الصعداء. إنه على الأقل لن يعطيها تعليمات آخر لحظة وكأنها ما زالت مبتدئة. لقد أخذت على عاتقها، خلال السنوات الخمس الماضية، الكثير من الأعمال. إن بإمكانها أن تشير إلى أكثر من عشرة أبنية مختلفة من انجازها. كما أن فندق توباز هو من احد اعمالها. كان رسم المهندس على التصميم لكن يديها هما اللتان عملتا فيه. ونبوغها هو الذي وجد الطريق إلى إنجاح العمل والأشياء الخيالية المدهشة التي لا تعيش إلا في خيال الفنان. لقد شيدت تصميمين كبيرين بشكل جعل كل انسان يغدق عليها الثناء، وخصوصاً جايمس توباز، صاحب الفندق الملياردير والذي أبدى شكره البالغ لها. والدها فقط هو الذي وجد خطأ في عملها... ولكن هذا ما كان والدها يصلح له.

كانت صورتها في المرآة تبدو متوترة قلقة وكأنما هي بانتظار هبوب عاصفة. ضغطت شفتيها معاً، لقد كانت رفضت جايمس توباز بسهولة عندما وجدت طريقته في شكرها تتضمن قضاء عطلة نهاية الأسبوع معاً في باريس بصفتها ضيفته. لماذا تشعر براحتيها مرطوبتين الآن؟ وإذ نظرت إليهما أدركت أنها كانت تفرك إبهامها بسبابتها.

شتمت ذلك الصوت الرجالي الخشن الذي كان يتردد في ذهنها طوال الليل مسبباً لها الأرق. حسناً، عندما ينتهي بناء هذا الملحق، ستمحو كل أثر لذكر أنجلو مارينو في ذهنها.

وكز شاد بمرفقه أنجلو وهو يرى أليسون تقترب منهما مجتازة موقف السيارات.

إلتفت أنجلو، ثم أخذت خفقات قلبه تتسارع وهو يراها تتجه نحوهما. نحوه هو. كان يشعر بشوق بالغ إليها منذ ذلك اللقاء الأول، يوم الجمعة، الذي غيّر حياته نهائياً.

لقد كانوا اختاروا أن يكون اجتماعهم خارج السوق على الأرض التي ستصبح في النهاية القصر الزمردي. وكان أنجلو وشاد قد وضعا منضدة نشرا فوقها التصاميم. لم يكن ثمة ورقة شجر تتحرك. حتى الرياح كانت تؤيدها، كما اخذ أنجلو يفكر.

لم تبارح عيناه اليسون وهي تقترب، فألقى شاد نظرة عليه ثم قال: «أظن أن السيدة تريد سلخ جلدك.»

كانت منتبهة إلى أنه يراقب كل خطوة تخطوها ما جعل الارتباك والخجل يتملكانها بشكل لا يصدق. لم يستطع شخص قط من قبل أن يؤثر عليها بهذا الشكل باستثناء والدها. فقد كانت دوماً تزهو بتمالكها لنفسها، ولكن ها هوذا أنجلو يدمّر هذا كله.

وضعت حقيبة أوراقها بجانب المنضدة، ثم أخرجت سلة الأزهار التي كان أرسلها إليها، من كرسيها الموضوعة فيه، ثم دفعتها إليه بعنف وهي تقول: «أظن علاقتنا ستكون أفضل إذا أنت استعدت هذه.»

وإذ لم يجد خياراً آخر، أخذها منها وهو يقول: «لم يسبق أن منحتني امرأة أزهاراً قط من قبل.»

مضت دقيقتان لم تستطع أثناءهما النطق، قبل أن تقول وهي تصرف بأسنانها: «إنني لا أمنحها لك، بل أعيدها إليك.»

لم يبد على أنجلو أنه سمع ذلك وهو يضع سلة الأزهار بقرب التصاميم وهو يقول: «أنا لست بحاجة إلى زهور لا تنسني لكي اتذكرك.»

فنظرت إلى شاد تلتمس العون: «هل هو دوماً غلظ الدماغ بهذا الشكل؟»

عقد شاد ذراعيه فوق صدره وعلى وجهه ابتسامة عريضة. لم يكن ثمة خلاف في جمال تكوين هذه السيدة ما جعله يعجب بذوق أنجلو، إذا لم يكن معجباً بتعقله. وقال يجيبها: «إن لديه أغلظ دماغ في هذه الأنحاء.»

وجهت أليسون كلماتها إلى شاد معتمدة على واقع أن الشركة ما دامت ناجحة، فأحد الرجلين، على الأقل، يجب أن يكون ذكياً بشكل معقول. وهذا يعني أنه شاد. وهكذا قالت تخاطبه: «أحب أن ينجح ترتيبنا هذا.»

انتقل أنجلو إلى خلف شاد لكي يكون أمام نظرها، ثم تناولها القائمة التي كانت طلبتها منه وهو يقول: «لست حريصة على ذلك اكثر مني.»

فرأى شاد لهيباً خطراً في عيني أليسون وهي تلقي نظرة على القائمة، ثم دستها في جيبها بينما كان شاد يصحح قول أنجلو: «إنه يعني منا.»

عادت أليسون تقول: «إن شركة كونراد وولده تتمتع بسمعة طيبة عليها أن تصونها.»

فمد أنجلو يده متعهداً: «إنها لن تتعرض للشكوك.» وأضاف بصوت منخفض: «إلا إذا شئت أنت ذلك.»

فالتفتت إليه تقول: «مارينو، أريد منك أن تحتفظ بشيء في ذهنك.»

«وما هو؟»

فقالت بلهجة ذات معنى: «إنهم ألغوا عقوبة الإعدام في هذه الولاية. حتى بالنسبة إلى الإجرام.»

والتفتت إلى شاد تقول له بلهجة أصحاب الأعمال: «والآن، لقد احضرت معي قائمة بالنقاط التي أريد استعراضها معك.» فجذب شاد إحدى الكراسي الثلاث التي تحيط بالمنضدة فجلست عليها، شاعرة بالرضا لأن أنجلو قد فهم معنى الرسالة لآخر مرة وبصورة نهائية. وتكهن شاد بذلك من التعبير الذي على وجهها، وأدرك أن افتراضها هذا سببه عدم معرفتها الجيدة بأنجلو.

لكنها ستعرفه يوماً. وأخذ شاد يحسب في ذهنه مرور أربعة أشهر ابتداء من الآن، ذلك أن البذلة الرسمية التي سيستأجرها ليرتديها في عرس أنجلو لا يمكن تجربتها في آخر لحظة.

الفصل الخامس

أخذت أليسون تصل إلى ورشة البناء مبكرة في كل صباح، وذلك قبل وصول أيّ من عمالها، فقد كانت دوماً تفضل التواجد في ساحة العمل على القيام بذلك من وراء المكتب، فقد كانت تحب رؤية البناء وهو يتشكّل، فكل مشكلة كانت تشكّل تحدياً لها، وكل تحدٍ هو انتصار متنكر، وكان هذا يخفف من الحمل الذي تنوء به.

وفوق كل شيء، كانت تراقب ما قد يحدث من مشاكل بعيني صقر، كان الجدول الموضوع أهم شيء في ذهنها، فكل مرحلة لا تنجز في موعدها، تفرض لذلك عقوبة ضخمة، ولم يحدث قط أن دفعت شركة كونراد وولده عقوبة واحدة، ولهذا فقد كانت أليسون حريصة على أن يبقى سجل الشركة دون تغيير.

سارت مرحلة حفر الأساسات دون عائق، فقد انتهت كلياً بظرف أسبوعين وذلك بإبقاء فرق العمال الأربعة في العمل ساعات إضافية وأيام السبب، ثم ابتدأ بناء الهياكل. لقد تملكها السرور وهي ترى النصف الآخر من الملحق غير متأخر عنها. ربما مارينو ليس من السوء بالدرجة التي كانت تظنها، مهنياً على الأقل.

كانت شركتا كونراد وولده ومارينو وماكليلان قد قسمتا العمل بينهما بقدر ما أمكنهما من مساواة، فقد استلمت شركتها الجناح الغربي بينما استلمت شركة مارينو

وماكليلان الجناح الشرقي وتوقعت أن تحدث المشاكل عندما يصل العمل إلى القسم الشمالي، ذلك أنهم كانوا ينحدرون إلى الوسط، فإما الظفر بالتعاون والعمل الجماعي، وإما برج بابل، وكانت تأمل في النصر. ولكنها تتوقع برج بابل.

وضعت أليسون القلم، بصبر فارغ، خلف أذنها، فقد كانت أمضت وقتاً طويلاً تفكر في ما يحدث في الناحية الأخرى من البناء... وقتاً طويلاً في التفكير في ذلك الرجل... وقتاً طويلاً في توقع مشاكل حيث قد لا يحدث ذلك.

لكن للمشاكل اسماً هو أنجلو مارينو، إن كون العمل ما زال مستمراً حتى الآن بشكل حسن لا يجعلها تطمئن إلى شعور زائف بالرضاء، كانت أكثر حكمة من أن تظن ذلك دون أن تعلم السبب في حدسها هذا. لقد كانت كمن يتوقع سقوط قنبلة، كانت تعلم أن هذا ما سيحدث، إنما فقط لا تدري أين ومتى، ولكنه سيحدث وهي متأكدة من ذلك.

كانت رأت فعلاً دلائل تحذيرية، في البداية افترضت بسذاجة، أنه ما دام مهنياً وما دامت أعمال البناء تدار خلف الأسيجة التي تفصل بين مخازن السوق وملحقه، فهي آمنة نسبياً ذلك أن أنجلو سيمكث في ناحيته وهي في ناحيتها.

ولكن هذا خطأ. فقد اكتشفت أليسون أن بإمكانه أن يجد دزينة من الأعذار يومياً لكي يأتي إلى ناحيتها للبحث عنها والتحدث إليها، لم تكن تعلم قط متى يأتي مرة أخرى، ما جعلها سريعة الاجفال. خيل إليها أن السبب في هذا ضغطه على أعصابها، ولكن هذا لا يعني أن له أي تأثير عليها.

«سوني، هل سمعت شيئاً مما قلته لك؟»

نظرت إلى وجه مساعدها والذي كان رجلاً نحيلاً طويل القامة تخفي عيناه الناعستان ذهناً متوقداً، كانت قد سمعت نصف ما كان يقوله فقط، تباً لذلك، فالآن قد أصبح مارينو يتدخل في أفكارها. إن على ذلك أن ينتهي.

«طبعاً سمعتك.» وقطبت جبينها وهي تتفحص بسرعة اللوح الذي ناولها إياه جوزيف هذا لكي تتفهم وضع العمل.

«أخبر براون أن هذا البروز غير مقبول أريد أن ينتهي تركيب الأنابيب في ذلك الصف من المخازن يوم الجمعة القادمة وليس الأسبوع الذي بعدها.»

فتخلل جوزيف شعره الأشقر بأصابعه، قائلاً: «سأخبره، ولكنني لا أظن...»

كلا، إن جوزيف لين أكثر مما يجب، وكانت هي تعلم ذلك. ما الذي كانت تفكر فيه؟

«لا بأس، سأقوم أنا بذلك.» ولم يكن في كلماتها أي حدة أو فروغ صبر، كما لو كان والدها يقول لها نفس الشيء، لم تكن منزعجة وإنما فقط تريح جوزيف من عبء آخر لتضعه على كتفيها.

أخرجت الهاتف الخلوي الذي يلازمها أثناء العمل، ثم طلبت الرقم الذي تريده، كانت تختزن في ذاكرتها قائمة كاملة بأرقام الهاتف ونادراً ما كانت تعود إلى الدليل للبحث عن رقم تريده.

قالت تجيب على سؤال السكرتير في الطرف الآخر من الخط: «أريد ادغار براون من فضلك، أخبره أن كونراد وولده على الخط.»

كان هذا هو الوضع الذي رآها فيه أنجلو، يد تحمل اللوح،

وأخرى الهاتف، كان قد وصل إلى الورشة الساعة السادسة وثم أمضى ساعات الصباح في المرور على مختلف الترتيبات التي تحتاج إلى تغيير. وفي الحادية عشرة قرر أنه بحاجة إلى فترة راحة، فاتجه نحو الجناح الغربي.

كانت الورشة مزيجاً من ضجيج يصم الآذان، وغبار ورجال ودعائم من الخشب والحديد، وكانت نواح أخرى خالية تماماً ما عدا من الغبار الكلسي الذي كان في كل مكان، كان من الصعب أن يفكر المرء أن كل هذه الفوضى ستصبح في النهاية بناء منظماً رائع الجمال يأتي إليه الناس لإنفاق نقودهم وأوقاتهم.

كان يستمتع بالعمل بيديه وعقله، وزاد من سروره وجود أليسون بجانبه. ولم يغير رأيه خلال الأسابيع الثلاثة التي مرت. كان أول اهتماماته يتعلق بالنفقات، لم يكن في ذهنه شك في ذلك.

لم يضرّه كونها تزاول نفس العمل الذي يزاوله وتفهم نفس اللغة، فقد كان هذا زيادة في الخير. أما الناقص فهو استغراقها فيه وكأن كل شيء خارجه لا معنى له، وكان عليه فقط أن يجعلها تنتبه إلى أن هناك عالماً كاملاً ينتظرها لتجربه.

كانت أليسون قد فرغت لتوّها من التوقيع باسمها على لائحة الوصول إلى العمل ووضعت قلمها خلف أذنها عندما سمعت رنين الهاتف. فأومأت للعامل القادم بأن ينتظر لحظة.

ثم قالت تجيب مساعدها براون الذي كان يسألها عن صحة والدها: «نعم، سوني هنا. أبي بخير، شكراً.»

لو كان والدها على فراش الموت، لما جعلها هذا تقول شيئاً عدا عن أنه بخير، ذلك أن ليس لحياته الخاصة مكان

في حياته العملية، وكان هذا شيئاً أثبته في ذهنها هي أيضاً.

«أما ما ليس بخير فهي طريقتك في العمل. نعم، إنك مشغول، ولكن كذلك نحن.»

ضاقت عيناها وهي تضغط شفتيها معاً، لم يكن لديها صبر على البطء والتمهل عندما يمكن للمرء أن ينهي عمله بسرعة.

«اسمع، إذا لم يكن بإمكانك مد مجموعة الأنابيب في ملحق صغير لسوق في خلال أسبوعين، فأخشى أن عليّ أن أحضر شخصاً آخر لكي... آه، بإمكانك ذلك...» وزال التوتر عن شفتيها ليحل الرضا مكانه.

كان أنجلو يراقبها تتنازعه مختلف المشاعر. إنه يريدها وهو سيحصل عليها ولا بد أن يكون ذلك قريباً، فهو لا يستطيع الانتظار أكثر من ذلك.

«فهمت، حسناً، هذا حسن جداً. سأراك في الورشة غداً.» وضغطت زر الهاتف تنهي المكالمة وتعيد الهاتف إلى مكانه شاعرة بسرور بالغ.

تقدم أنجلو إليها يقول: «يبدو عليك الرضا البالغ.»

«إنني كذلك فعلاً.» أعادت لائحة الوصول إلى جوزيف واستدارت، وإذا بعينيها تضيقان مرة أخرى: «أنت؟»

لم يكن هذا بالاستقبال الحسن تماماً، ولكن هذا لم يزعجه. فهز كتفيه قائلاً: «إنها ورشة عمل صغيرة.»

أجابت وهي تتساءل عما يجعله يتردد عليها طوال الوقت: «ليس بمقاييسي.»

فقال ضاحكاً: «ربما علينا أن نراجع معاً مقاييسك يوماً ما.»

أشاحت عنه بوجهها ثم سارت إلى أوراق التصميم المنشورة على المنضدة. وما لبثت أن التفتت إليه ويداها على وركيها: «ساريتو، ستسير الأمور بيسر أكثر لو أنك تبقى في ناحيتك.»

لكن أنجلو كان قد تأكد من أن أموره تسير بغاية اليسر قبل أن يغامر بالقدوم إلى ناحيتها، فعمله الذي يقوم به، والناس الذين يعتمدون عليه لا يمكن أن يغيبا عن ذهنه أبداً.

قال: «أريد أن تكون لديّ صورة عامة عن سير العمل، ولهذا أحتاج إلى أن أرى كيف يسير العمل عندك.»

فرفعت رأسها بحركة دفاعية. لم تكن تحب أن يراقب عملها أحد لأي سبب كان، فهذا يحملها على الارتباك. فقالت تجيبه: «إن العمل عندي ممتاز. ألا يحتاجك عمالك في شيء؟»

لم يتحرك أنجلو وهو يجيب: «ليس حالياً.» ورأى النظرة التي رمقته بها. من الواضح أنها تظنه غير مسيطر على العمل في ناحيته، فقال: «إنني أثق بعمالي، يا أليسون. ولهذا استأجرتهم فهم يقومون بعمل حسن ما يجعلني في غير حاجة إلى النظر من فوق أكتافهم كل دقيقة.» وأشار إلى الهاتف المعلق في حزامها، قائلاً: «لقد كنت خشنة في كلامك، منذ دقيقة.»

أجابت ويدها على الهاتف: «هكذا على المرأة التي تعيش في عالم الرجال، أن تتصرف.»

نعم، بإمكانه أن يرى ذلك. يرى أنها تستعمل الخشونة فلا تعتمد على استغلال جمالها للسيطرة على الرجال، إنها تسير في عملها بشكل مباشر فتنافسهم في ميدانهم. شعر بالإعجاب نحوها، ولكن هنالك بعض المبالغة في ذلك.

«ألست، بهذا تنسين نفسك؟»

ليس لديها وقت للتحليل، خاصة من هذا الرجل الذي لا يبدو أنه يرى أعمالاً أخرى عليه أن ينجزها سوى الظهور في الورشة ليبرر وجوده. فأجابته: «إن لديّ عن نفسي صورة واضحة جداً، يا مارينو.» وبسطت يديها مشيرة إلى ما حولها: «هذه أنا.»

قد تكون هذه عقيدتها، ولكنها ليست عقيدته. فهناك شيء أكثر رقة ورهافة، وربما ضعفاً، وراء امرأة كفوء تلقي بأوامرها على الرجال الذين أحاطت نفسها بهم، فهي ليست مجرد ولده في شركة كونراد وولده. إنها أكثر من ذلك... شخص مختلف.

لم تعجبها الطريقة التي كان ينظر بها إليها، وكأنه رأى فيها شيئاً لم تكن واثقة منه... شيئاً لم تكن تريد معرفته، فسألته: «هل جئت إلى هنا لسبب محدد، أم لتحدق إليّ فقط؟»

يبدو أنه كلما ازداد غضبها، زادت متعته. كانت تكافح مشاعرها، ولكنها ستذعن في النهاية، وقريباً هذا إذا لم يكن فقد بصيرته في التكهن. فقال: «نعم، إنه لسبب محدد، وإن يكن هذا لا يعني أن التحديق إليك غير سار.»

فرفعت يده تسكته، خائفة مما قد يقوله، فهناك كثير من الرجال حولها قد يسمعونه. ونظرت نحو جوزيف.

كان الرجل يعرف متى ينصرف، فطوى اللائحة وقال: «إنني ذاهب للراحة لعدة دقائق، يا سوني.» وعندما ابتعد، تبادل ابتسامة عريضة مع رجل كان يقف في ناحية بعيدة.

كانت أليسون نسيت أن هناك رجلاً آخر ينتظرها، فالتفتت إليه قائلة: «وأنت؟»

بدا عليه شيء من الرهبة: «جئت لأخبرك فقط أن قرميد الطابق الأرضي قد وصل أخيراً.»

فقالت بحدة: «هذا حسن.» وألقت على الرجل نظرة اعتذار: «آسفة يا جاك، فقد تأخرنا.» ونظرت إلى أنجلو بطرف عينها: «ويبدو أن تأخرنا سيطول.»

فضحك جاك قائلاً: «ليس ثمة مشكلة.» ثم انصرف مسرعاً.

أغمضت أليسون عينيها، وعندما فتحتهما، كان أنجلو ما زال واقفاً أمامها. كانت تعلم هذا.

«إنني حقاً، أتمنى لو تبقى في ناحيتك. إنك تزعزع سلطتي على رجالي بتسكعك حولي بهذا الشكل.» ولم تقل له أنه يفسد عليها تفكيرها.

لماذا يحدث ذلك؟

كانت دعامة أخرى ترفع إلى مكانها، ورافق ذلك دق مسامير يصم الآذان. فامسك أنجلو بذراعها وأشار إلى مكان آخر أكثر عزلة: «لماذا عليك أن تمكثي هناك؟ هل تخافين من أنهم لن ينظروا إليك بصفتك المرأة الحديدية؟»

نزعت ذراعها من يده: «لا أريدهم أن يظنوا أن تمثيلية ممتعة تدور أمامهم.»

«بعض الناس يدمنون على مشاهدة التمثيليات.»

«أدري. أنا لا أشاهد التلفزيون، فليس لديّ وقت له.»

تساءل عما عسى أن تفعل في أوقات فراغها. لا بد أن هناك شيئاً ما.

«كيف تمضين أوقاتك؟»

كان يضيع وقتها. ونظرت من فوق رأسه إلى الدعامة وهي ترفع، كان في بناء يُشاد ما يبعث الحماسة

والشاعرية. روعة ومقدرة، إنه بمثابة زواج مكتمل. ما الذي تطلبه أكثر من أن تكون جزءاً من ذلك؟

فأجابته: «على عملي.»

لكنه كان يعرف هذا: «ثم؟»

فعادت نظراتها إليه. ما الذي يريده منها؟ فقالت: «ليس هناك ثم.»

أتراها تظن أنها تبتدىء وتنتهي في العمل بالبناء؟ «لقد كنت رأيتك تتنزهين في أول يوم رأيتك فيه.»

فهزت كتفيها: «هذا لإراحة أعصابي. فأنا بحاجة إلى التريض بانتظام.»

وضع إبهامه في حزام بنطلونه وأخذ ينظر إليها بإمعان، هنالك الكثير خلف عينيها هاتين لم يفهمها تماماً بعد. «ما الذي تقومين به، يا أليسون؟»

ما الذي يعنيه ذلك؟ وأجابته: «إنني مقاولة بناء، هذا إذا لم تكن لاحظت ذلك.»

فهز رأسه. يا لها من امرأة عنيدة: «أعني بالنسبة للترفيه عن النفس.»

هل هذا الرجل أصم؟ أم لعله بطيء الفهم؟ فقالت: «إنني أتمشى.»

«أعني بالإضافة إلى ذلك.»

ففكرت لحظة، كانت تحب أن تقف طويلاً تحت دوش حار حيث يغمرها البخار. ولكن هذا شيء شخصي جداً بالنسبة للتحدث عنه، فقالت: «أحب القراءة.»

رفض أن يذعن، فهناك خطأ ما، وعندما يجده سيعالجه. «هل تقومين بأي عمل يشترك فيه شخص آخر؟»

فنظرت إليه بإمعان. كان هذا نوعاً من التحقيق، تحقيق أخذت تواجهه منذ ابتدأ هذا المشروع، ولكن هذه مشكلتها الخاصة ولا حاجة به لأن يعلم به، فقالت: «كلا.»

«هل تحبين اكتساب خبرات جديدة؟»

كانت تحاول جاهدة حمل نفسها على أن تكرهه، ولكن هذا لم يكن بالسهولة التي كانت تظنها. كان فيه شيء يجذبها... بل كان جذاباً جداً، إذا لم يكن وسيماً. ولعل الرجولة التي تفيض منه هو الوصف الأصح، ولكن مهما كان وصفها له، فإن موقفها منه سيبقى كما هو، فهي سترفض أي شيء يعرضه عليها.

قالت وهي تدور حوله مبتعدة: «إن ما أريده، يا مارينو...» وحدقت إليه من فوق كتفيها. «هو أن انتهي من هذا العمل في الوقت المقرر لذلك، وهذا ما لن أستطيعه ما دمت تقف في طريقي.»

«حسناً، سأذهب.»

نظرت إلى السماء وقد بان الارتياح في عينيها، ولكنه أكمل يقول: «ولكن بشرط واحد.»

فأغمضت عينيها تبحث عن القوة، وسألته دون أن تفتحهما: «وما هو؟»

تقدم حتى أصبح أمامها مرة أخرى: «أن تتناولي القهوة معي.»

مع أن العمل لم يتوقف، إلا أنها كانت متأكدة من أنهما أصبحا مركزاً لاهتمام الجميع. إن عليها أن تتخلص من هذا الرجل فقالت: «أنا لا...»

لم يدعها تكمل كلامها: «لا تخبريني أنك لا تشربين القهوة. فقد رأيتك تضعينها بجانب الغالون.»

لم تكن تريد أن يحلل الآخرون عاداتها، فما تقوم به يخصها وحدها. فقالت له: «هل بهذا تسلّي نفسك؟ بالتجسس على النساء؟»

وجعلها اللهب الذي تألق في عينيها أكثر جاذبية فأجابها: «ليس على النساء، بل على امرأة عزباء هي أنت.»

لماذا سرت في كيانها هذه المشاعر عندما قال هذا؟ ليس لديها وقت لعرضه الصداقة هذا، حتى ولو كان صادقاً، وهذا ما تشك فيه، فمثله لا يكون صادقاً أبداً.

قالت: «هل أنت تتملقني بهذا؟»

فأجاب: «كلا، بل أخبرك فقط.»

قالت مذعنة: «إذا أنا تناولت القهوة معك، فهل تذهب؟»

كان قد جاء ليدعوها إلى الخروج معها لتناول القهوة مبتدئاً بذلك. فقال لها: «إنك تضعين شرطاً صعباً، ولكن لا بأس.»

فانتظرت أن يذهب، ولكن عندما لم يفعل، سألته: «الآن؟»

«هذه كانت الفكرة.» ونظر إلى ساعته: «يبدو أن الساعة الحادية عشرة والربع هو وقت حسن لأخذ فترة راحة. إلا إذا كنت تريدين غداء مبكراً، طبعاً.»

لم تتعود أخذ فرصة لتناول الغداء وقد رآها مرة تراجع العمل وفي يدها شطيرة منسية.

إذا لم توقفه عند حده، فسيتمادى في الأمر، فرفعت يدها كشرطي السير: «بل قهوة... قهوة فقط.»

«إذا أنت تناولت شطيرة معي، فهذا لا يعني أننا خطيبان.»

فحملقت فيه: «هل سبق وأخبرك أحد قط بأنك شخص غريب حقاً؟»

فقال ببساطة: «أكثر أفراد أسرتي، ولكنني لا أهتم لهم.»

ثم أمسك بذراعها يقودها نحو القسم المحاط بالستائر أمامه، بينما السوق أصبح وراءه.

حاولت أن تجذب يدها، ولكنه لم يسمح لها بذلك، فقالت: «يمكنني أن أسير برغبتي، يا مارينو.»

فقال: «هذه إحدى المزايا التي تجذبني إليك.» وعندما مرا بسقالة، نظر إلى أعلى كالعادة، وإذا به يطلق شتيمة وهو يدفعها بجسمه بشدة من مكانها إلى حيث السياج.

صاحت به وهي تدفعه عنها بصدره بشدة، وتنعته بما جاء في بالها من ألقاب لم تنتج سوى قهقهات منه.

لقد كان يرغب فيها، يريدها ولكن زوجة إلى الأبد. ولكن هذا يتطلب صبراً، صبراً كان لديه على الدوام، ولكنه يبحث عنه الآن.

أما هي، فقد ركزت ذهنها على التخلص من مشاعر سرت في كيانها، فلم تجد لذلك سوى الغضب علاجاً، كعادتها على الدوام.

«لماذا فعلت ذلك، أيها...»

«قبل أن تقولي أي شيء، ستشعرين بالأسف الشديد لأجل...» ورجع خطوات إلى الخلف ثم أشار إلى حيث سقطت دعامة من الفولاذ وما زالت معلقة بشكل غير ثابت وذلك في نفس المكان الذي كانت تقف فيه منذ لحظات، وفي هذه اللحظة كانا قد أصبحا مركز الحركة حيث اندفع عمال البناء من كل صوب يحيطون بهما.

«آه...» وشعرت بالكراهية لتحمّل جميله، ولكنها لم تستطع المراوغة من حقيقة أنه قد أنقذ حياتها.

قال ضاحكاً: «سأعتبر ذلك اعتذاراً، كما أن الاعتراف بالجميل لا ينتج عنه أيّ ضرر.»

كانت ركبتاها تشعران بالضعف، فقد كان بالإمكان أن تصاب بجرح بالغ، إذا لم يكن أسوأ من ذلك، لو لم يكن موجوداً، وقالت: «أظن عليّ أن أعتذر لك.»

«فليكن اعتذارك أن تدفعي ثمن القهوة، هذه المرة.»

سألها عامل وقد بان الأسى واضحاً على وجهه: «هل أنت بخير، يا سوني؟»

وكانت مجموعة من العمال يلغطون حولها فهزت رأسها تطمئنهم: «أنا بخير.» ونظرت إلى الرجل الذي كان قد قفز من على السقالة وجاءها راكضاً يتجلى الخوف في ملامحه، فقالت له: «رايلي، حادث آخر مثل هذا و...»

تخلل الفتى شعره الأسود بأصابعه متوتراً وهو يقول: «أعلم، أعلم. أقسم على أن لا يحدث هذا مرة أخرى، يا آنسة كونراد أرجوك، إنني بحاجة إلى هذا العمل...»

كان لدى رايلي مشاكل في بيته، وكانت تعلم أنه مشغول البال: «لا أحد سيطردك من عملك، يا رايلي. جوزف.»

لم يكن لها أن تقول شيئاً آخر، فقد أقبل جوزيف نحوها وهو يومىء برأسه. سينقل رايلي إلى عمل أقل خطراً، وذلك لأجل الجميع.

أعلنت قائلة: «لا بأس، فليعد كلّ إلى عمله. إن لدينا عملاً علينا أن ننجزه في وقته.»

التفتت إلى أنجلو لترى في عينيه إعجاباً هادئاً. وشعرت بنفسها تبتسم متجاوبة معه، رغم أن ردة فعله لم تكن تهمها مهما كان نوعها.

«إلى أين سنذهب لتناول القهوة؟ عليّ أن أخبر جوزيف أين يجدني.»

«في أي حالة؟ ألا يستطيعون الاستغناء عنك فترة عشرين دقيقة؟»

أشاحت بوجهها عنه قائلة: «إنك تجعلني أشعر أنني سخيفة.»

«كلا، بل هنالك شيء اسمه تسليم المسؤولية.»

فقالت كارهة: «إنني أفعل ذلك.» وسارت بجانبه وهي تتساءل عما إذا كانت على صواب في الخروج معه.

فتابع يقول: «كما أنك تجهدين نفسك في العمل.»

توقفت عن السير، وهي تقول: «كونك أنقذتني من أن ينشق رأسي لا يعني أن لك الحق في تمثيل دور الطبيب النفساني بالنسبة لما تظنه يحدث هنا.»

فقال باسماً: «أعدك بأن لا أمثل دور الطبيب. والآن، ابتسمي ودعينا نتناول القهوة، وسأعيدك إلى مكانك قبل منتصف الليل، مثل ساندريلا.»

كانت تسير بجانبه ولكن كلامه لم يعجبها، فقالت: «ان تصرفاتك لا تهمني، يا مارينو.»

«لا بأس، ستهتمين بها فيما بعد.»

فحملقت فيه: «لو كنت مكانك لما كنت واثقة من ذلك.»

التفت ينظر إليها. كانا قد أصبحا داخل السوق الآن، وكان هناك أناس يسرعون حولهما، لم تزعجه مقاومتها له. «هل تكهنت، عندما استيقظت من النوم هذا الصباح، بأنك ستتناولين القهوة معي الساعة الحادية عشرة؟»

لم تعجبها نظرة الغرور التي بدت في عينيه. ولكن كان عليها أن تكون صادقة، فأجابت: «كلا.»

«أرأيت؟»

«مارينو، إنني لا أمزج المتعة بالعمل.»

أوما إلى اليسار فاستدارت، وإذا بها ترى مقهى فرنسياً بديعاً يقدم القهوة العبقة تحت مظلة كبيرة مخططة باللونين الأزرق والأبيض، وكان هو يقول لها: «إذن، فقد حان الوقت الذي ترين فيه فائدة مزج العمل بالمتعة.»

فكرت بحزم، في أن تدعه يثرثر كما يشاء، فهي تتناول معه القهوة فقط لكي تجعله يتركها ويذهب، مانعة بذلك حدوث مشهد بينهما أمام موظفيها. هذا إلى أنه أنقذها من إصابة سيئة للغاية. ثم إنها مدينة له بكوب قهوة.

وبالتأكيد، كان هذا كل ما تدين به له.

الفصل السادس

«و الآن، ما هو رأيك في ان تكوني أم أولادي.»

وقفت القهوة الحلوة الثقيلة في حلق أليسون، رافضة الصعود أو النزول، ماكاد يسبب لها اختناقاً، وسعلت محاولة التنفس، وقد دمعت عيناها وهي تحدّق غير مصدقة، إلى ذلك الرجل الجالس بقربها في المقهى.

أخذ انجلو يربت بثبات على ظهرها، وعندما توقف السعال، وضع في يدها كوب ماء شعرت بالراحة بعد عدة رشفات منه، ان بإمكانها، على الأقل ان تتكلم مرة أخرى، فهتفت بصوت متحشرج بعد ان تنحنحت مرتين.

هتفت تقول: «ماذا؟»

«ما الذي وضعوه في قهوتك؟»

وأمال الكوب نحوه متظاهراً بالنظر إلى داخله ثم قال: «المواد المعتادة، انها ليست قهوة كابوتشينو ممتازة، ولذلك سيكون علينا ان نذهب إلى منزل أمي.»

نظرت إليه بذهول بالغ، كان يتابع الكلام وكأنه لم يقل لتوّه اكثر الكلمات التي سمعتها في حياتها، خبلاً.

«عندما دفعتني من مكاني هناك، هل حدث وخدشت تلك الدعامة رأسك بشكل ما؟»

فأجاب هازلاً: «كلا، لماذا؟»

«لماذا؟ لأنك...» وأغمضت عينيها وهي تتنهد، ما الفائدة

من ذلك؟ ليس بإمكانها ان تتحدث منطقياً إلى شخص مجنون. «علي ان اعود الآن.»

وأخذت تحرك كرسيها مبتعدة عن المائدة. فنظر انجلو اليها، كان يتساءل عما إذا كانت تدرك ان لا شيء في الحياة أحب اليه من ان ينجب منها أولاداً... ان ينجبا معاً مخلوقات صغيرة هي بنتيجة زواج اثنين يحبان بعضهما بعضاً، وان تحبه هي، ان الشيء الذي يريده انجلو اكثر من طفل ينظر اليه ويقول (بابا)، هو ان تحبه أليسون.

قال لها: «انك لم تجيبي على سؤالي.»

لقد كان مجنوناً حقاً. «لا اظنه يستحق جواباً.»

نظر اليها بابتسامة واسعة، ولم تستطع ان تجد سبباً للغضب الذي شعرت به منذ لحظة، ذلك ان الدفء شمل كيانها، ربما هي المجنونة وليس هو.

سألها: «هل هذه طريقة أخرى للقول انك ستفكرين في الأمر؟» كان مصمماً على ان أول أولادهما سيكون طفلة صغيرة تشبه أمها.

قالت تجيبه: «انها طريقة أخرى للقول انني سأتحدث إلى طبيبك بأن يحبسك في مكان ما، وذلك لأجل مصلحتك.. ومصلحتي.»

فمال رأسه ينصت باهتمام، متمعنا في ملامحها الرقيقة. لم يكن يريد ان يذعن بمثل هذه السهولة. فقال: «هذا يعني (كلا)، أليس كذلك؟»

«لا استطيع ان اعرف ما إذا كنت تمزح، أم ان الأمر مجرد جنون واضح.»

أشار إلى النادل فجاء هذا مسرعاً، فأخرج انجلو ورقة

الخمس دولارات ووضعها على قائمة الحساب، وهو يقول لها: «أليس هناك تعليل ثالث؟»

سألته بارتياب: «مثل ماذا؟» كانت تعلم انها منطقياً، ليس بامكانها متابعة هذا الحديث، ولكن شيئاً ما جعلها تستمر، كان الأمر وكأن كل كلمة مرتبطة بأخرى ما لم يبق لها خياراً عدا متابعة الحديث إلى النهاية مهما كانت، ومهما خافت ان يكون هناك، أجاب: «مثل انني غارق في حبك رأساً على عقب.»

لا يمكن ان يكون جاداً، أتراه يظن انها معتوهة فارغة الرأس لتقع بحب رجل مثله؟ أم تراه يعلم بأن في نفسها رغبة خفية في ان يحبها شخص ما؟ لكنها كانت تعلم ان ذلك ما كان ليحدث، حتى ولو اختلفت الظروف، ولكنها لم تختلف، فقد كانت مرتبطة بعهد وطريقة حياة وذلك بشكل متعذر إلغاؤه.

تفرست في وجهه رافعة حاجبيها وهي تقول: «ذلك بيت رديء في قصيدة أو أغنية صبيانية وليس مشاعر رجل تجاوز سن البلوغ، لقد تجاوزت سن البلوغ، أليس كذلك؟»

إذا كانت نيتها توجيه إهانة إليه، فقد فشلت في ذلك. ذلك ان غضب انجلو لا يثار بسهولة، فقال: «لا تتظاهري بأنك غير معجبة بي، يا أليسون.»

الشخص الوحيد الذي كان يدعوها باسمها، هو أمها، قطبت جبينها وتلك الذكريات العزيزة تعود إليها، لم تستطع ان ترى انجلو في أي ضوء آخر سوى الشخص الذي يسبب لها القلق، فذلك سيعقد كثيراً من الأمور.

قالت له: «لست مرغمة على التظاهر.» كانت الآن قد نهضت واقفة نهائياً، متخذة المائدة التي بينها بمثابة حاجز، ثم أخذت تنظر إليه وقد ضاقت عيناها.

فابتسم دون ان تثبط همته: «إذن، فسنتعشى في الخارج؟»

اتسعت عيناها، ربما مازالت الصدمة تتملكها من ذلك الحادث الذي أوشك ان يصيبها، كيف بإمكانها ان تتخلص من هذا الرجل؟ «أي عشاء؟»

فانحنى نحوها يقول: «العشاء معي الليلة.»

كان يضع نوعاً من محلول الكولونيا اعجبها، لقد ملأ خياشيمها ودغدغ حواسها، وقاومت تأثيره المخدر لتقول: «لا عشاء هذه الليلة ولا غداً ولا السنة القادمة أو القرن القادم.»

لم يبد عليه انه اهتز لأي من هذه الكلمات وهو يقول: «لم اكن اعلم ان الناس يضربون مواعيد بعيدة إلى هذا الحد.»

زفرت غاضبة، ثم استدارت على عقبيها واندفعت مبتعدة كالعاصفة وهي تهز رأسها، هذا الرجل مجنون دون أدنى شك، ان عليها ان تجد وقتاً تتحدث فيه إلى ماكليلان عما إذا بالإمكان القيام بشيء في هذا السبيل، ان بناء الملحق ان يكتمل في الوقت المعين، لا قسمها، ولا قسمهما، اذا كان عليها ان تدفع عن نفسها بإستمرار راعي البقر العاطفي هذا، والأسوأ من هذا كله انه كان ينهك اعصابها.

• • •

(أم أولادي).

صرفت أليسون بأسنانها وهي تأخذ فترة راحة بعد ذلك بمدة طويلة. كانت كلمات انجلو هذه تتردد في ذهنها مرة بعد مرة طوال عصر ذلك النهار، وقد دهشت عندما لم يسرع في أثرها عندما غادرت المقهى، ليمسك بشعرها ويجرها إلى كهف ما. دهشت لذلك كما شعرت بالإرتياح.

يا له من مغرور وهو يظن ان يجعلها تقع في غرامه لمجرد ان له مثل ذلك الجسم الضخم القوي العضلات يمنحه الحق في أن... أن...

ودفعها انشغال بالها إلى الإصطدام بعارضة حديدية فارتطمت ذقنها بقوة. «أووه»... قفزت إلى الخلف وهي تدعك مكان الإرتطام.

كان جوزيف قادماً نحوها فرأى ما حدث. لم يكن من عادة سوني الإصطدام بالأشياء فسألها: «هل انت بخير، يا سوني؟»

تملكها الإرتباك وهي ترى ان هناك من شاهد تخبط حركاتها فكفت عن الدعك وقالت له: «طبعاً، ما الذي تعنيه؟»

فهز كتفيه: «لا أدري، يبدو عليك نوع من انشغال البال.»

حيث انه كان يحمل بيده ما بدا وكأنه ورقة رسمية، مدت يدها تأخذها منه محاولة ان تتمالك نفسها لكي تمعن فيها النظر وهي تقول: «ان انشغال بالي هو فقط خوفاً من ان لا ننهي بناء الملحق هذا في الوقت المعين، هذا هو كل شيء.»

فردد كلامها: «هذا هو كل شيء؟»

قالت وهي تدفع اليه بالورقة دون ان تقرأها: «طبعاً، وماذا يمكن ان يكون غير هذا؟»

أخذ جوزيف يحك رأسه وهو يقول: «لقد رأيت كيف كان مارينو ينظر اليك.»

فتساءلت كم من الآخرين رأوا ذلك أيضاً. «أما كيف كان مارينو ينظر إليّ، فهذه مشكلته وليست مشكلتي.»

طوى جوزيف التقرير بعناية وهو يقول: «منذ متى ونحن نعمل معاً، يا سوني؟»

«منذ خمس سنوات.» كان جوزيف قد التحق بالشركة في

نفس الوقت الذي عاد فيه والدها إلى البيت من المستشفى، فقد كانت بحاجة إلى شخص يمكنها ان تركن إليه، فكان جوزيف حسب رغبتها.

«ومنذ ذلك الحين، هل عرفتني قط من النوع الذي يدس أنفه في شؤون الآخرين؟»

«كلا.» وابتسمت له، كان رجلاً طيباً حسن النية، ولكنها لم تشأ ان تكون حياتها هدفاً للنوايا الطيبة، وتابعت تقول: «لا تفسد سجلك ذاك، يا جوزيف.»

لقد ابتدأ هذا، وعليه ان ينهيه، فقال: «لن يضرك ان تمتعي نفسك قليلاً، فوالدك يرهقك بالعمل. كل شخص يعلم هذا.»

لم تشأ ان يلوم الناس والدها لشيء تقوم هي به بكامل إرادتها، فقالت: «كلا، انا التي أرهق نفسي بالعمل.»

نظر جوزيف إليها بعينين تفيضان رقة وعطفاً، وسألها: «ما الذي تحاولين إثباته؟»

لو كان وجه هذا السؤال اليها شخص غير جوزيف لما اهتمت بالرد عليه، وهكذا اجابته: «هو ان بإمكاني التوقف عن هذا متى أشاء.»

«ألا تظنين انه كان عليك ان تبرهني على ذلك قبل الآن؟»

فهزت رأسها، لقد ظنت ذلك مرة، ولكن هذا لم يتكرر. لقد علمها الزمن ان ليس ثمة راحة ولا نهاية لشيء. فكل شيء يتحرك إلى الأمام باستمرار.

«كلا، فذلك شيء ينبغي ان يتكرر مع كل عمل جديد، كهذا العمل.»

قطب جوزيف حاجبيه: «العمل الدائم دون تسرية عن النفس يولد البلادة في النفس.»

رتبت على ذراعه، فشعرت بها هزيلة لا تشبه ذراع انجلو، ولكنها سرعان ما نبذت هذا التفكير من ذهنها، يكفي تأثيره عليها جسدياً، ولكن لا مكان له في قلبها.

قالت له: «ساهتم بهذا الأمر.»

هز كتفيه وهو يبتعد قائلاً: «ربما عليك ان تبدإي من الآن.»

فهمست لنفسها: «نعم، ولكنك لست انا.»

من حسن الحظ ان انجلو لم يعد بقية هذا النهار لكي يعيد تقديم عرض الزواج هذا، ولكن عدم وجوده لم يهدىء من توترها، وبقيت تنظر خلف كتفها متوقعة عودته في أي لحظة، وفي كل مرة تشعر فيها بشخص يقترب منها من خلفها يتجمد جسمها قبل ان تلتفت إليه، لقد أرهقها التوقع كلياً.

لكنها كانت تتنفس الصعداء في كل مرة تجد القادم شخصاً آخر، هذا مع شعور ضئيل بخيبة الأمل، ولكن هذا طبعاً لأن توقع حضوره مازال قائماً، وليس لأنها تريد ان تراه، من المؤكد انها لا تريد ان تراه.

كل ما في الأمر انها تتوقع ذلك.

لقد كان يقودها إلى الجنون.

• • •

لأن الوقت كان له أهمية كبرى، فقد حملت الشركتان عمالهما على العمل ساعات إضافية لذلك العمل ايام السبت، وهكذا كانت أيام الآحاد هي الوحيدة التي يتوقف فيها سير العمل.

وهكذا وجدت أليسون ان يوم الأحد هو المناسب

لمراجعة ما قامت به من عمل اثناء الأسبوع الماضي، وذلك بكل هدوء وسلام، فلا عمال يشغلونها، ولا ضوضاء.

كذلك لم يكن هناك مارينو.

لم يكن عليها ان تشعر بالقلق، متوقعة ان تراه امامها في أي لحظة، أو يقبض على ذراعها من الخلف، انه ليس بحاجة لكي يفعل ذلك، إلى ان يسقط دعامة من السقالة ليتخذ من ذلك عذراً، فمثله لا يحتاج إلى عذر إذا أراد ان يمسك بذراعها.

خففت من سرعتها وهي تدخل سيارتها إلى الموقف، انها مازالت لم تجد فرصة تتحدث فيها إلى شريكه، طالبة منه ان يحبسه أو يقيده، فهو يسبب لها كثيراً من التوتر، كما انه يوقظ في نفسها مشاعر ما كان لها ان تستيقظ.

أبرزت أليسون هويتها للحارس الموجود عند المدخل الغربي لمكان البناء، فأشار إليها بالتقدم، وأسرعت هي إلى هيكل البناء الذي سيحتوي على عشرين طابقاً آخر وذلك في المستقبل القريب، ولكنه الآن يبدو أشبه بهيكل عظمي لديناصور جاثم على الأرض.

كانت تحب هذا العمل، تحب صناعة شيء من الأسمنت والفولاذ، ان لديها صوراً لكل ما انجزته شركة كونراد ووالده، إضافة إلى صور فوتوغرافية كانت التقطتها بنفسها في مراحل مختلفة للبناء، وهذا أيضاً كانت تقوم به أيام الآحاد، وبهذا لم ير احد منها تلك الناحية العاطفية من شخصيتها، كما انه لم يكن الغرور هو الذي دفعها إلى الاحتفاظ بكل تلك الصور، بل الزهو، الزهو بمقدرتها، وكان هذا يخفف من الألم الذي كان يمتلكها احياناً، وكذلك الشعور بالوحدة.

سارت إلى الداخل وشملت المنطقة الخالية بنظراتها، «كنت قد ابتدأت أشعر باليأس من مجيئك، فقد حان وقت حضورك.»

انطلق هذا الصوت العميق من مكان ما، بصورة مفاجئة جعلتها تقفز من مكانها مجفلة، وعندما نظرت حولها بسرعة وقلبها يخفق بعنف، وقع نظرها على ما بدا لها أشبه بموائد النزهات الخلوية وقد أقيمت في الناحية البعيدة على الأرض، كانت مائدة عليها طعام وحولها مقعدان خشبيان وانجلو...

فشعرت بطبعها يشتعل غضباً، ألن ترتاح منه أبداً؟ وتقدمت نحوه ويداها على وركيها وعيناها تلتهبان. تبأله فهذه منطقتها: «ما الذي تفعله هنا؟» فبسط يديه بينما بقي جالساً على المقعد الخشبي الصغير: «انني في انتظارك.»

«في انتظاري؟» أليس في الرجل دم؟ أوما انجلو برأسه مشيراً اليها بأن تجلس وهو يقول: «لقد اخبرني مساعدك بأنك ستأتين لتفقد العمل، هذا النهار.»

سحقها الخبر ما تخلخلت له ركبتاها، فجلست على المقعد الآخر وهي تقول ذاهلة: «اخبرك جوزيف؟» وعادت بها الذاكرة إلى ذلك الحديث الذي كانت تبادلته مع جوزيف منذ ايام حين اخبرها بأن عليها ان تمتع نفسها قليلاً، ولكن لم يخطر في بالها انه سيقوم بعمل يجمعهما، هي وانجلو، معاً.

اجاب انجلو: «نعم.»

اخذت تحدق اليه وهو يسكب لها كوباً من العصير المنعش، ثم عادت تسأله: «ولماذا اخبرك بذلك؟»

«لقد اخذ الرجل يثرثر بعد ان دعوته إلى جلسة في مقهى.»

فتماكها السخط، كيف يفعل ذلك؟ كيف يتجسس عليها باستخلاص معلومات عن تحركاتها من جوزيف؟

يبدو انه اكثر كفاءة مما كانت تظنه، فقالت له: «يبدو انك تكبدت الكثير من العناء.»

اخذ يمسح قطعة خبز بالزبدة. لقد كان رفض تناول الإفطار لكي يشاركها الطعام بشهية كافية، ثم قال يجيبها: «كل شيء ذي قيمة يستحق ما يبذل لأجله من عناء، وهذا يجعل النهاية أروع.»

استقامت أليسون في جلستها، انها لن تدع نفسها تشعر بالغرور لهذا الإطراء، كلا، لن تفعل ذلك. وحاولت ان تبقى حازمة وهي تقول: «لا أدري ما الذي ستستفيده من ذلك...»

فابتسم وهو يقدم لها الخبز: «الصداقة وهي تكفي كبداية.»

لكنها كانت تعتبر انهما في طريق النهاية وليس البداية... فقالت له: «سارينو، اننا...»

فقاطعها قائلاً: «لقد احضرت سمكاً.» وكشف غطاء الطبق الرئيسي امامها.

تحركت شهيتها، كان الأكل شيئاً تقوم به لكي تبقى على قيد الحياة، ولكن السمك كان يمثل نقطة الضعف فيها: «سمك؟»

فاومأ مجيباً وهو يقدم لها الطبق.

وحاولت ان تتذكر إذا كانت حدثت جوزيف مرة بأنها تحب السمك.

سألته: «هل هو جوزيف من اخبرك بأنني احب السمك؟»

«كلا، بل روندا.»

ابتدأت الأمور تبدو لها بشكل مؤامرة. فعادت تسأله: «وهل اتصلت، بسكرتيرتي؟»

فاوما قائلاً: «بدا لي القيام بذلك شيئاً منطقياً، اظن الأفضل ان تبدإي بالأكل فقد اخذ الطعام يبرد.»

لكنها كانت مازالت تحدق إليه وكأن له رأسين.

لكن فضولها كان اكبر منْ رغبتها في الطعام، فسألته: «ما الذي يدفعك إلى هذا العمل؟»

كان الأمر واضحاً، ولكنه قال على كل حال: «حسناً، إذا لم يأت الجبل اليّ، فأنا اذهب إليه.»

ولكنها لم تفهم شيئاً على الاطلاق، ككل شيء آخر قاله، كما كانت ماتزال تحاول ان تفهم جملته (أم أولاده).

سألته: «ماذا تعني؟»

ناولها السمك وهو يقول: «اعني انك رفضت الخروج معي لتناول العشاء، وهكذا أحضرت احضرت انا العشاء اليك، أو بالأحرى الغداء كما ترى.»

«وهل تكبدت كل هذا العناء لكي تتناول الغداء معي؟»

«نعم.»

«ولماذا؟» ألقت عليه هذا السؤال مرة أخرى، فهي حتى الآن، لم تسمع منه ما يشفي غليلها.

أخذ يتأمل مفكراً في ان هذا ربما كان سبب جاذبيتها، فقد كانت فريدة بين النساء فأجاب: «ان اسئلتك كثيرة جداً بالنسبة إلى امرأة خالية المعدة.»

«ولكنني لا احصل على أي جواب، ما الذي تريده، وما الذي لا تريده؟ قل لي الصدق.»

كانت دوتي قد وضعت له معكرونة باردة مع السلطة، فأخذ الآن يلح به على أليسون.

قال يجيبها: «حسناً، إذن اقتراحي بأن تكوني أم أولادي

لم يعجبك، ففكرت في ان نسير فترة في طريق آخر.»

أمسكت بطبق السلطة وهي تقلب الأمر في ذهنها بين ان تأكله أو تفرغه فوق رأسه، ولكن حيث انها كانت تكره التبذير، فقد أكلته وهي تقول: «انك مضحك.»

لم يقل شيئاً وتركها تستمتع بطعامها بينما هو يستمتع بالنظر اليها فترة سألها بعدها: «لماذا؟ ألم يخبرك احد قط من قبل بأنه يريدك؟»

رفعت بصرها تنظر في عينيه وهي تضع الشوكة على الصحن: «لماذا تحاول ان تقودني إلى الجنون؟»

«إنني لا أحاول ان اقودك إلى الجنون، يا أليسون، بل أحاول ان اجعلك ترتاحين قليلاً معي، ولكنني أريد ان تكون تصرفاتك منبثقة عن إرادتك الحرة.»

«لو كنت اتبعت إرادتي الحرة يا مارينو لما اعجبك ذلك.»

كانت تعني بذلك تهديداً لا شك انه نابع من الخوف، ليس خوفاً من ان يفعل انجلو بها شيئاً، بل ان تفعل هي شيئاً بنفسها، وذلك لمجرد وجودها معه هنا، فقد كانت ثقتها بنفسها تهتز بشكل جاد، لقد كان في كل ما يحدث شيء من الجاذبية. لقد وجدته جذاباً حقاً، ولكنها لن تخضع لدافع الطبيعة المؤقت.

قال يجيبها: «جربيني.»

حاولت ان تفهم ما يقول، وما لبثت ان سألته: «هل انت واحد منهم؟»

«واحد ممن.»

فهزت كتفيها، شاعرة بالإحباط باحثة عن كلمات تقولها، متمنية لو ان ذهنها اكثر صفاء وقالت له: «انك تحدثت عن الإرادة الحرة، فهل انت من نوع الأشخاص المقيدين بأمور وأشياء؟»

«ليست قيوداً جسدية بل روحية... من النوع الحسن.»

خفضت بصرها إلى المائدة: «ما الذي تعنيه بذلك؟»

فقال ببساطة: «هنالك قيود معوّقة هي غير تلك التي تجعل الشخص يشعر بالأمان، وانه جزء من شيء ما، له إرادته الحرة.»

ابتلعت ريقها وقد جف فمها، ثم قالت: «لا افهمك.» كانت تكذب وهذه هي المشكلة. فقد كانت تفهمه جيداً.

«اظنك لا تريدين ان تفهميني.»

نهضت فيما كانت تشعر بالخوف وكان هو يرى ذلك في عينيها، كانت تحاول ان تستعيد ثقة طفل قد سبق ان أسيئت معاملته، أو حيوان قد تلقى الضرب، أتراها لا تثق بالحب؟ وما الذي جعلها كذلك؟

قال لها: «ان الحارس لا يتجاوز الخمسة اقدام طولاً وهو على وشك التقاعد، فلو شئت لنطحته برأسي.» وأخذت عيناه تقنعها بالبقاء وهو يقول: «انني افضل الجلوس هنا وتناول الطعام معك، يا أليسون فلا تجادليني رغم انني احب النظرة الثائرة في عينيك.» ورأى تباشير ابتسامة على شفتيها فأضاف: «تحدثي إليّ.»

سألته بحذر: «عن ماذا؟»

«عن كل شيء ما عدا البناء وهذا الملحق.»

أجابت بعناد: «ان البناء هو كل ما اعرف.»

اخذ يمعن النظر في وجهها: «ان امرأة بمثل جمالك يجب ان تعرف اكثر من هذا بكثير.»

رفعت رأسها بكبرياء: «انني افتخر بعملي.»

«هذا حسن، ولكنه لا يجب ان يكون حياتك كلها.»

كان يعطيها رأيه مرة أخرى، فكرهت منه ذلك حتى ولو كان ما قاله صحيحاً. فهذا ما جعله اسوأ. «انك لا تعرف شيئاً عن حياتي.»

«اخبريني إذن.»

خفضت بصرها تنظر في طبقها وقد تلاشت شهيتها: «ليس لديّ عادة كشف افكاري امام الغرباء.» ولم تشأ ان تضيف، فأردفت تقول: «الناس هم جميعاً غرباء إذا أردتهم ان يكونوا كذلك.»

وألقت عليه نظرة ذات معنى. لا بد انه فهم اخيراً ما أرادته ان يفهمه.

لكنه ضحك قائلاً: «من الصعب ان تنهزمي.»

«هذا صحيح، يا مارينو.»

فقال وهو يلتهم الطعام: «لا شيء مستحيلاً اذا كنت اريديه حقاً.»

شعرت وكأنه يوجه اليها إنذاراً فتجاهلته والتفتت إلى طعامها. فهذا ما بإمكانها ان تفهمه على الأقل، تمتمت وعيناها على الطبق: «تناول طعامك.»

الفصل السابع

أخذ أنجلو يتأمل صامتاً، أليسون وهي تأكل. رأى أن هذه السيدة لن تحتاج إلى أكثر من قليل من الاقناع لكي تصبح كفة الميزان في صالحه. كانت بحاجة إلى أن ترى ما كان عرفه في أعماقه.

«أخبريني، يا أليسون. هل بامكانك تأدية امتحان؟»

نظرت إليه بحذر: «أي نوع من الامتحانات؟»

«حاولي أن تتجاوبي مع مشاعري نحوك.»

فسقطت الشوكة من يدها محدثة صوتاً، وهي تقول له ذاهلة: «لقد عرفت الآن أنك مجنون.»

«هل أنت خائفة؟»

لماذا تأثيره عليها يستمر بهذا الشكل؟

أجابته: «أخاف ممن؟ من شخص مجنون؟»

سكتت وهي ترى نظرة جادة في عينيه.

«حاولي ان تبادليني مشاعري، فإذا لم تنجحي في ذلك على أن تكوني صادقة، فأنا على استعداد لأن أطوي مائدتي هذه واتوارى عنك إلى الأبد.»

كانت هذه مغامرة منه، ولكنه كان مصمماً على ان يربح وكان واثقاً من ذلك.

«لا أرى في ذلك ما يمكن أن يحل مشكلة.»

رأى في عينيها ووراء كلماتها، لمحة من خوف. كانت خائفة من أن تكتشف أنها تحبه، أنها منجذبة إليه ولا مستقبلهما معاً.

«إنك خائفة.»

نهضت واقفة وهي تقول: «وأنت بغيض صعب لا تطاق.»

أخذت تبتعد عنه وهي تفكر في انها لن تتابع مراجعة العمل الذي كانت ستقوم به. إنها ستقوم بذلك غداً. أما الآن، فكل ما كانت تريده هو الهرب منه ومن عرض الزواج هذا.

لكن لم يكن باستطاعتها الهرب منه بهذه السهولة. فهو لن يسمح لها بذلك. فقد سار معها خطوة بخطوة، إلى المخرج وهو يقول: «اعترفي بذلك. إنك تحبينني، أليس كذلك؟»

لكنها استمرت في سيرها بخطوات واسعة سريعة.

«سأحضر كلبي معي إلى العمل من الآن فصاعداً.»

وحدثت نفسها بأنها قد تحضر بندقية أيضاً.

ان يكون رجلاً إذا لم يتمسك بها، وهو لن يدعها تفلت من بين يديه خصوصاً بعد أن وجد منها تجاوباً.

وفجأة، تجلت لها الحقيقة. ما الذي هي بسبيله؟ الهرب؟ إن عليها أن تواجه الحقيقة مهما كانت، فهذا ما تعوّدته.

توقفت فجأة فأخذته البغتة وتراجع كيلا يصطدم بها. حاولت أن تتسلح بالغضب، منقذها الوحيد ولكن الغضب لم يسعفها. لم تستطع أن تشعر به. كل ما شعرت به هو غصة في حلقها تكاد تخنقها.

رأى ثالقاً في عينيها سرعان ما خبا إنها رغبة... فهي إذن غير منيعة منه كما تحاول أن تدعي. وكان في هذا تشجيعاً كافياً له.

أغمضت عينيها برهة ثم عادت ففتحتهما، وهي تهمس: «إطو مائدتك وارحل.»

تشابكت أعينهما لحظة. كلا، انه لن يدعها تفلت من بين

يديه. فقال لها: «لا أراك ستخبرينني بأنك لا تشعرين نحوي بأي شيء.»

متى سيعود نبضها المتسارع إلى حالته الطبيعية؟ متى تعود ساقاها ثابتتين كعادتهما.

«هذا صحيح، فأنا لا أشعر نحوك بشيء.»

هز رأسه ببطء: «كلا، فأنت لست من النوع الذي يكذب.»

غصت بريقها، ولكن الجفاف ما زال هناك.

«ما الذي يجعلك تظن أنني كاذبة؟»

«عيناك.»

«إنك مغرور.»

«ليس هذه المرة. في الواقع، ما كنت مغروراً قط وبإمكاني أن أحضر لك من يشهد بذلك.»

ها هوذا يتباهى بمن يعرف من النساء. فقالت: «أعرف أن بإمكانك اثبات هذا الشيء.»

أدرك ما يدور في ذهنها. لقد اساءت فهمه فتملكته الغيرة. وسرّه هذا إذ معناه أنها تكن له بعض المشاعر حتى ولو لم تدرك هي ذلك، أولا تريد أن تعترف به.

فقال: «إن أياً من افراد اسرتي يمكنه أن يخبرك بأنني رجل متواضع غير مغرور.»

شعرت بالارتياح انما للحظة قصيرة. فقد انتبهت إلى نفسها ما زالت واقفة هناك، مستمتعة بمبادلته النظر فقالت: «الرجل غير المغرور لا يترصد النساء.» لم صوتها بقساوتها المعهودة فهنأ نفسه على ذلك وأجا

«هذه ليست عادتي، ولكنني أريدك.»

كان في عينيه ما جعلها ترى صدقه، رغم انها كانت تعلم ان قوله هذا سخيف منطقياً. اتراه يحبها؟

لكن، ما هذا الذي تفكر فيه؟ إنها تدع نفسها تذهب بعيداً إلى حيث لا مكان لها. وكانت تعلم هذا، فهذا هو وجه الحياة الشاق حيث الوحدة في كل مكان. كل شخص هو وحيد في هذه الحياة إذ لا يوجد ما يسمونه حباً. كلا، هذا غير صحيح. ما يسمونه حباً إن هو إلا تخيلات الفجر. فالحياة شاقة وعلى الإنسان، لكي يعيش أن يكون قاسياً وقوياً. فقد علمها والدها ذلك بمختلف الطرق.

عادت إلى المائدة حيث كانت نسيت، في اضطرابها، حقيبة يدها، فالتقطتها وهي تقول له: «اسمع، إنني لست كمن عرفتهن من النساء.»

فقال: «إنني أول من يوافقك على هذا.»

لا شك أنه يلعب بالألفاظ، فقالت: «إن لدي مسؤوليات، يا ماريانو، وواجبات، وهي أشياء يبدو أنك لا تفهمها.»

كان شاعراً بالتعب من هذا الوضع الذي جعلته فيه دون أن تحاول تحري ما اذا كان ما تظنه فيه حقيقة. قال: «هذا ليس عدلاً. فأنت تصدرين عليّ أحكاماً دون اساس تعرفينه. إنني من أسرة علامتها الفارقة هي الشعور بالمسؤولية وهذا جزء من المحبة. عندما تحبين تشعرين بالمسؤولية وتكون تصرفاتك تبعاً لذلك. فهي والمحبة امران لا يفترقان.» لقد كان دوماً ملبياً لحاجات أسرته حتى حين لا يكونون بحاجة إليه. لقد كان هذا، ايضاً، جزءاً من المحبة. وهو أيضاً يشعر بالمسؤولية تجاهها، هذا إذا توقفت عن الشعور بالخوف منه لكي ترى ذلك.

فكرت بالفكرة التي تتملك والدها عنها رغم كل جهودها. مهما حاولت أن ترضيه أو أن تتحبب إليه بصفتها ابنته. ولكن الوقت الوحيد الذي ترى فيه نتيجة لجهودها هو عندما تبني شيئاً. فالبناء، وليس القرابة، هو صلتها الوحيدة به.

أجابته وهي تقاوم رغبة من البكاء: «ليس دائماً. فأحيا يمكن للشخص أن يعيش دون شخص آخر.» ما الذي وجده أنج في أعماقها بكلماته هذه؟ لقد كانت دوماً متمالكة لنفسها بحي لم ير أحد قط هذه الناحية منها. لا أحد رأى الفتاة المحتاجة في أعماق المرأة المتزنة رابطة الجاش هذه. تبأله، لماذا لا يتركها وحدها؟ واستطردت تقول: «يمكن للشخص أحياناً أن يشع بالمسؤولية دون ذرة من المحبة في الموضوع.»

لم يكن هو يريد شيئاً اكثر من ان تسمح له بمشاركت العبء الذي تحمله، أن يجعلها تعلم أنه سيكون موجوداً كلم احتاجت للمساعدة.

قال لها: «اخبريني عن وضعك، يا أليسون.»

ساورها الإغواء في أن تخبره. أن تتخلص مما يعتم في نفسها إلى الأبد. ربما ما زال يكمن في أعماقها ال الشعور بأنها منبوذة، وأنها لم تكن محبوبة قط من أبيها يجعله يجلس معها مدة كافية. ربما كل ما في الأمر هو أنه بحاجة إلى اتصال بالآخرين.

لكنها لم تستطع أن تخبره بكل هذا. كان من الصعب تتجاوز سنوات الكتمان والانغلاق في لحظات قصيرة، حتى لو أرادت ذلك.

وبدلاً من ذلك، حاولت أن تلفت انتباهه إلى شيء آخر فقالت: «كل إنسان يدعوني باسم سوني.»

«لا أريد أن أكون مثل أي أحد آخر في حياتك، يا اليسون.»

لم يكن ثمة فائدة من كل هذا، فقالت له: «إن لديّ عملاً يا انجلو وأكون شاكرة لو تركتني أقوم به.»

لقد دعته باسمه الأول، وهذه خطوة إلى الأمام. إن بإمكانه أن يحقق مثل هذا في كل مرة. فقال: «لابأس.» أخذ يضع الأطباق في السلة. ذلك أن دوتي سيغمى عليها إذا هو تركها هنا، فكل الأشياء هي لها. وتابع يقول: «هل تمانعين في ذهابي؟»

«وهل ستبقى هنا إذا قلت لك ذلك؟»

نظر إليها بابتسامة عريضة: «كلا، ولكنني وجدت من التهذيب أخذ إذن منك.»

ضحكت وهي تهز رأسها. كان صعباً للغاية. ولكنها الآن لم تعد تجد في هذا صفة سيئة كما اعتادت. وعادت بأفكارها إلى رأيها الأول في إمكانياته، فقالت: «أظن علي أن أكون شاكرة لك إن لم تجرني من شعري إلى كهفك.»

قال وهو يطوي غطاء المائدة: «هذه ليست من صفاتي. هذا إلى أنني لا أملك كهفاً، وإنما أملك بيتاً جميلاً يحتوي على ثلاث غرف نوم وهو ما أحب أن أريك اياه يوماً ما.»

فقالت ضاحكة: «حقاً إنك مجنون.» ولم يكن في لهجتها الآن أي اتهام كالعادة، ما رأى هو فيه خطوة أخرى إلى الأمام، مفكراً في أنه مجنون حقاً وإنما بها.

عندما سارا معاً نحو المبنى الضخم، كانت هي تفكر في أن ليس ثمة جدوى من مخاصمته فهو يبدو عديم الأذى.

ولكن، لا... هذا غير صحيح. فالرجال عديمو الأذى لا

يحدثون في نفس المرأة مثل هذا الاضطراب والمشاع
التي تحس بها.

لكنها تعلم أن بعض الرجال يعيشون لأجل التحدي، وه
منهم. فإذا قاومته بعنف، فهي تدفعه بذلك إلى مقاومة ذا
بعنف أكثر. من الأفضل إذن، أن تستعمل معه المودة
يجعله راضياً عن نفسه وبالتالي يدعها وشأنها.

كانت هذه فلسفة حسنة، في نظرها، وقد تنجح. أما ما ل
تستطع فهمه فهو السبب الذي منعها من أن تبتهج لهذه الفكر
من كل قلبها.

كان يعرف الكثير عن العمل، كما ادركت مؤخراً، وه
يعني أن نجاح شركته لم يكن عائداً فقط إلى مقدرة شريك
ذلك أن أنجلو كان فطناً داهية... داهية للغاية. ولكنه فقط
يحب المباهاة.

عندما أخذا يراجعان أعمال الأسبوع الماضي معاً، ن
لها بشكل عفوي بعض اختصارات طرق العمل والتي تو
المال ولا تقلل من نزاهة العمل نفسه. تملكها من الارتيا
اكثر مما شعرت به عندما علمت بأنه لا يؤمن بانجاز ع
رديء دون المستوى المطلوب، أما بالنسبة لعمله، فك
مزهواً به قدر ما هي مزهوة بعملها. ولكنها كانت تع
انجازاتها بمثابة اشارة، برهاناً على جدارتها بينما ك
هو يعتبر انجازاته اثباتاً طبيعياً لذاته.

إنها لم تعرف رجلاً مثله قط من قبل.

* * *

اعتاد الثلاثة، هي وشاد وأنجلو، الاجتماع كل ص
اثنين لمقارنة الملاحظات ورؤية مدى تقدم العمل ونوع

كانت المشكلات تحل بدقة والحلول تناقش. ولأول مرة أخذت تشعر بنفسها جزءاً من فريق لكبر. أما الأكثر أهمية فهو أنها لم تعد تشعر وكأن كل شيء ملقى على كتفيها. وكان هذا يدعو إلى السخرية حيث أن شركتهما كانت اصغر من شركائها بكثير. وحيث انها اعتادت أن يكون كل شيء تحت سلطتها، لقد كان عليها أن تبذل بعض المجهود في سبيل أن تألف العمل المشترك، ولكن النتيجة كانت تستحق ذلك.

أخذ جناحا الملحق يرتفعان معاً. فقد كان أنجلو أوضح لها أنهما لا يريدان مواجهة العقوبة التي ينص عليها العقد إزاء أي إخلاف في الموعد المتفق عليه، وذلك اكثر مما هي تريده. فبالنسبة إليها، كانت مسألة كرامة. أما بالنسبة إليهما فالخسارة التي تلحق بهما إذا هما تجاوزا الموعد المتفق عليه، الخسارة تلك هي غير مرغوبة.

وهكذا أخذت مخاوفها تتبدد.

«حسناً، أظن هذا كل شيء حالياً. إلا إذا كان لدى أي منكما ما يقوله.» أخذ شاد ينقل نظراته بينهما. وكان ذلك في أحد تلك الاجتماعات.

فهزت رأسها وهي تنهض واقفة من أمام المنضدة التي ذكرتها بتلك المنضدة التي كان أنجلو قد اقامها في تلك النزهة.

قرع الباب شخص ما، ثم دخل حيث قال إن أنجلو مطلوب للذهاب إلى قسم آخر. فغادرهما أنجلو كارهاً، ولكنه بادلها النظرات قبل خروجه مباشرة.

[illegible] نظرات أليسون في البداية. كان في عينيه شيء ما... وعد، دفء، اشياء كثيرة لا تستطيع أن تحمل نفسها

على تصديقها، لأنها إذا فعلت فسيفسد ذلك كل شيء، إ
سيحطم عزيمتها، وكل ما بنته أثناء كل تلك السنوات من
وسائل الدفاع. لقد كاد يفسد عليها كل ذلك أمس، وهذا ما لا
ينبغي أن يحدث مرة أخرى مهما كان مقدار استمتاعها به

أخذت تنظر إلى شاد مترددة وهي تجمع أوراقها. ولكنه
ما لبثت أن حزمت أمرها، إذا لم يحدث هذا الآن، فلن يحدث
أبداً.

قالت له وهي تبلل شفتيها: «أحب أن أتحدث إليك، يا سي
ماكليلان، على انفراد.»

نظر إليها باسماً محاولاً أن يخفف من توترها الذي بد
عليها بوضوح، ثم قال: «قد تجدين من الأسهل لكي تتحدثي
إليّ، أن تدعيني باسم شاد.» ونظر إليها مرة أخرى. نعم
إنه يرى السبب الذي جعل أنجلو يقع في غرامها. فقد كانت
امرأة رائعة الجمال. ولكن عليه أن يعلم ما إذا كان هذ
الجمال ينعكس على المنطقة الأكثر أهمية... على داخلها

قال لها: «إنك تريدين أن تحدثيني عن أنجلو... أليس
كذلك؟»

«نعم. هل بإمكانك أن توقفه عند حده بالنسبة إليّ؟»

أتراها تظن أن الأمر بهذه السهولة؟ أخذ يفكر في ذلك
وهو يقول لها: «إنه ليس ربيبي الذي يأخذ إرشاداته مني
يا آنسة كونراد.»

فقالت له بشكل آلي: «بل سوني.» شعرت بأنها معجبة
بشاد إلى الحد الذي لم تشأ معه أن تستمر الرسميات بينهما
ثم تابعت تقول: «أعرف ذلك، ولكنك شريكه ورأيت أنه قد
يستمع إليك.» وأخذت تعبث بورقة أمامها.

أجاب: «إنني أكثر من ذلك. فأنا أخوه ولكنه مع ذلك، لا
يستمع إليّ.» أضاف برقة إنما بحزم: «ومع ذلك فأنا لا
أجرؤ على أن أفرض عليه ما يجب أن يفعله.»

حدقت إلى شاد لم يكن ثمة شبه بينه وبين أنجلو بالرغم
من بشرتهما السمراء. كانت ملامح أنجلو أكثر خشونة
واتساعاً وقوة، بينما كانت ملامح شاد ارستقراطية ضامرة.

«أخوه؟ أنا آسفة. فأسماؤكما مختلفة ما جعلني أظن...»

فأسرع شاد إلى التوضيح: «إنه أخي بالحضانة إذا شئت
الدقة. فقد حضنتني أسرته أنا وأختي دوتي، منذ عشرين
عاماً. فنشأنا معاً. أظنني أعرفه أكثر من أي شخص آخر
في العالم. عندما يقرر أنجلو شيئاً فليس هناك من يستطيع
أن يحمله عن تغييره.»

جذبت نفساً عميقاً. لم تكن تريد أن تكون موضوع انتباه
من أحد، فهذا يشعرها بالضعف.

«أليس لي حق في إبداء رأيي؟»

تفرس شاد في وجهها لحظة. كان في أليسون أشياء
ذكرته بزوجته، وكيف كانت قبل أن تسقط الحواجز بينهما.

أجابها: «أظن أن الرأي رأيك على الدوام.»

فنظرت إليه بحدة. أترى أنجلو أخبره عما حدث بينهما
أمس؟

سألته: «ما الذي تتحدث عنه؟»

كان قد لاحظ الطريقة التي كانت تتحدث بها لم تكن
المسألة أنها غير معجبة بأنجلو كما كان يظن وإنما
المسألة هو أنها كانت خائفة من أن تحبه. فقد لاحظ كيف
كانت تنظر إلى أخيه هذا الصباح، وكيف كانت تستمع إليه

وهو يتحدث. فسألها: «هل قرأت مسرحيات شكسبير، يا سوني؟»

ما علاقة ذلك بما يحدث الآن؟ وأجابت: «نعم، طبعاً في المدرسة الثانوية، وفي الجامعة... ولكنني لا أرى...»

«هل تتذكرين ذلك السطر عن السيدة الكثيرة الاحتجاج؟»

فقالت تصحح كلامه وهي تنهض واقفة: «السيدة لا تحتج، وإنما فقط غير مهتمة.» كان عليها أن تعلم أنها لن تحصل على مساعدة، وبالتالي عليها أن تعود إلى محاولة مقاومة ذلك بنفسها. أما المشكلة فهي أن سلاحها لم يعد حاداً على الاطلاق.

قالت له: «ظننتك الشخص الأكثر عقلانية.» فنهض واقفاً دون أن يبدو عليه الاستياء، وهو يقول: «وأنا كذلك.»

«ولكنك تقف بجانبه وتؤيده.»

فابتسم قائلاً: «إن القرابة تستدعي ذلك.»

تنهدت. إن الأسرة بأجمعها مجنونة، حسب رأيها.. مجنونة ومتساندة، سارت مبتعدة وهي تتساءل عما عسى أن يكون شعورها وهي تنشأ في أسرة كهذه، بدلاً من أن تكون غنية ووحيدة.

الفصل الثامن

في يوم الجمعة التالي، كانت أليسون تجول بين اسطوانات الأسلاك الكهربائية وقد بان العبوس على وجهها بشكل بالغ، في كل مكان في المنطقة، كانت نظراتها تقع على نفس الشيء، قالت لمساعدها: «هذه غير مقبولة يا جوزيف فهي ليست الأسلاك التي طلبناها.»

كان جوزيف قد أسرع باحضار هذه لتراها حالما وصلت آخر شحنة بالسفينة.

أجابها: «نعم، أعرف ذلك، سمعت أن هذا ما قالاه، هما أيضاً.»

حاولت أن تزيح واحدة منها، وقد تملكها الغضب جانباً فلم تستطع لثقل وزنها، والغضب لا يحل مشكلة، على كل حال. فإذا لم تحل هذه المشكلة بسرعة، فسيتأخر عملهم. والوقت الاحتياطي الذي لديهم يتبخر بسرعة، وعندما استوعبت فجأة كلام جوزيف، التفتت تنظر إليه: «من هما؟»

فأومأ ناحية المنطقة الشرقية، يقول: «مارينو وماكميلان، المقاولان القانمات من الوادي، كما تسميهما.»

كان ذلك أثناء الأسبوع الأول، وذلك نتيجة توترها وسوء مزاجها، أما الآن فقد اختلفت القصة، فقالت: «إنني أعرف ماذا كانت أسميهما، ولم أكن أعلم أنهما يستعملان نفس العقد المتفرع.»

«إن شركة ميلر وجونز هي الأكبر.»

نعم، كانت تعلم ذلك، يبدو أن ميلر وجونز يريدان أن يتوسعا

أكثر وذلك من أقصر الطرق وأشارت إلى اسطوانات الأسلاك الكهربائية: «لن أستعمل هذه.» ومدت يدها إلى الهاتف.

فهز جوزيف رأسه يمنعها من ذلك: «لقد سبق وجرّبت أنا ذلك، فهو لديه اجتماع طوال النهار ولا يمكن الوصول إليه.»

«اجتماع في مكتبه؟»

«هذا ما قالته السكرتيرة.»

لقد اعملت ذهنها، إن على ميلر أن يسلّم الأسلاك الصحيحة، وإلا فستخنقه بها.

«حسناً، إن عليه أن يحضر اجتماعاً آخر لم يسبق أن خطط له هذا النهار.» وناولت جوزيف هاتفها لكي تمرّ بيدها على شعرها. إن ملابسها، وهي بنطلون جينز وقميص عمل، لم تكن مناسبة لحضور اجتماع ولكنها لن تسمح لذلك بأن يمنعها، خصوصاً والزمن يمرّ بسرعة.

«هل ستذهبين لرؤيته؟»

ضاقت عينا أليسون وهي تفكر في هارلي ميلر، بوجهه المستدير الصغير القائم على قمة جسد صغير. إنه نوع الرجل الذي يظن أن بإمكان المال أن يشتري كل شيء، بما في ذلك التعاون، كما يبدو، إنه لا يساوي نصف الرجل الذي كانه أبوه، وعجيب كيف بإمكان شريكه أن يصبر عليه، ذلك أن هنري جونز كان دوماً مضرب المثل بالاستقامة.

قالت: «إنني أعرف أسرع طريقة لحل هذه المشكلة، إنه منذ أخذ مكان والده في العمل، يحاول أن يجد طريقة للكسب السريع، حسناً إنه لن يحصل على ذلك من وراء تركيب أسلاك رديئة النوع في أي من بناياتي.»

«ابتسمي وأنت تقولين ذلك، يا شريكتنا.»

استدارت على عقبيها وقد أدركت أنه أنجلو. كانت الساعة الثالثة تقريباً وكانت تتوقع قدومه طوال النهار. وها هو ذا يأتي في أسوأ الأوقات ليهزل معها.

«ليس في هذا الأمر ما يضحك.»

كان أنجلو وشاد قد فرغا لتوهما من مناقشة أمر الأسلاك الكهربائية هذه التي تسلماها، فجاء أنجلو ليسألها رأيها في هذه القضية. وقال يجيبها بلهجة جادة: «كلا، إنه أمر غير مضحك مطلقاً، أظنك ستذهبين لرؤيته.»

«نعم.» لم يكن هناك ما يجلب السرور إلى نفسها، حالياً، أكثر من أن ترى هارلي ميلر مدهوناً بالقطران ومقيداً بأسلاكه هذه، فهي لم تكن تطيق أي انسان محتال.

نظر إليها والنار تنبعث من عينيها: «أتريدين مرافقاً؟»

نظرت إليه وهي تلتقط قطعة من السلك كان جوزيف قد قطعها ليتفحصها جيداً. أتراه يظنها غير قادرة على معالجة هذا الأمر بنفسها؟ وقالت له: «لا أريد مساندة من أحد.»

كان أنجلو قد سبق وأخبر شاد أنه سيذهب ليرى ميلر بنفسه بعد أن لم يستطع الاتصال به هاتفياً، فجاءته فرصة الذهاب مع أليسون بمثابة منحة. فقال: «إن كل انسان يحتاج إلى مساندة أحياناً، أنا نفسي كنت أفكر بطلب المساندة منك.»

نظرت إليه بارتياب: «ليس لدي وقت لأناضل لأجل شخص آخر.»

فقال وهو يقودها نحو ممر ضيق: «إذن فلا تناضلي، والآن سأتي معك يا أليسون سواء أعجبك هذا أم لا، إننا لن نتصرف برقة نحو من يحاول غشنا.»

«حسناً، بإمكانك أن تأتي.» كانت تعلم أن ليس هناك من

يستطيع منعه إذا هو أراد أن يرافقها. ولكنها فقط أرادته أن يعلم أن هذا ليس ضد إرادتها. ومع أنها كانت قادرة تماماً على معالجة هذا الأمر بنفسها، فقد سرّها أن ليس عليها أن تواجه الأمور وحدها.

سارا بسرعة نحو موقف السيارات، دون وعي منها، إلى سيارتها ثم نظرت إليه. أتراه سيأتي معها أم سيستقل سيارته؟ وسألته: «هل ستقود سيارتك؟»

فهز رأسه قائلاً: «من المخجل أن نذهب إلى نفس المكان بسيارتين. إن الاشتراك بسيارة واحدة يبشر بما سيكون عليه المستقبل.»

فأشارت إلى المقعد بجانبها: «اصعد.»

قادت السيارة شاعرة بجفاف في فمها، كان وجوده بجانبها يطغي على مشاعرها رغم أنه لم يكن يفعل سوى البحث في محطات الراديو. تباً له. ما الذي أعطاه الحق في أن يقتحم حياتها ليقلبها رأساً على عقب بهذا الشكل؟

نظرت إليه بعد أن وجد اغنية يبدو أنها أعجبته، ثم استند إلى الخلف. فقالت تسأله: «لماذا تفعل هذا معي؟»

أدار عينيه نحوها: «أفعل ماذا؟ ما الذي أفعله معك؟»

كان صوته منخفضاً جذاباً. ونضحت الرطوبة من راحتيها وهي تمسك بعجلة القيادة. لم يعد ثمة مجال للإنكار، وهي بحاجة إلى المكاشفة التامة هذا إذا شاءت أن تنتهي من هذا الأمر.

قالت وهي تتنفس بعمق: «إنك تدمّر قدرتي على التركيز.»

رغم ما كانت تظنه، لم يكن غروره هو الذي سرّه منها هذا الاعتراف، بل قلبه فقال: «هل أنا أفعل بك هذا حقاً؟»

فصرفت بأسنانها، ما كانت لتعترف بذلك لأي انسان في العالم، ولكنها كانت بحاجة إلى التفاهم، وأجابت: «إنك تعلم ذلك.»

فقال برقة: «ربما السبب هو مقاومتك لهذا الأمر بهذا العنف.»

لم يعجبها تأثير صوته على نفسها، لم تشأ أن تشعر بمثل هذا الضعف. فسألته بحدة: «أي أمر؟»

نظر إلى الاحمرار الذي صعد إلى وجنتيها وهو يجيب: «هذا التجاذب بيننا.»

«ليس هناك أي تجاذب.»

لم يكن جوابها منطقياً بصفتها مهندسة، حسب رأي أدامو الذي أجابها قائلاً: «لو لم يكن هناك تجاذب، لما أفسدت عليك قدرتك على التركيز، حسب قولك.»

ربما إذا وافقته على هذا، سيدعها في سبيلها، فأجابت: «حسناً، هنالك تجاذب.»

كان هذا أكثر مما كان يرجو منها، فقال: «وستجدين أكثر من ذلك في الأيام المقبلة.» رأى فكها يتوتر، فقال: «الأمر هو نفسه بالنسبة إليّ أنا.»

لم تشأ أن تدعه يؤثر عليها بكلامه هذا، فقاومت هذه المشاعر وقد شعرت فجأة بالخوف... الخوف مما تشعر به... الخوف مما يظنه. وقالت تسأله: «هل هكذا ترهق صديقاتك؟»

«ليس لديّ صديقات كثيرات ولم يحدث أن أرهقت واحدة منهن، حسب تعبيرك.»

فقالت متهكمة: «إذن، فتصرفاتك معي جديدة عليك.»

أجاب وهو يفكر في ما تبعثه فيه من مشاعر: «نعم، هذا

صحيح.» وسكت برهة ثم قال يسألها: «لماذا تشعرين بكل هذا الخوف من مشاعرك، يا أليسون؟»

«أنا لست خائفة من مشاعري.»

«بل أنت خائفة.»

«ولكنك تثير حنقي.» لماذا عليها أن تشرح له كل شيء؟ أليس باستطاعته أن يقرأ بين السطور فيتوقف عن إغاظتها بهذا الشكل؟

«اسمع، ليست لي الحرية في أن أشعر كبقية النساء... ذلك أن عليّ نذراً.»

كان يعلم أنه إذا سكت الآن، فلن تعود إلى الحديث مطلقاً بعد ذلك: «ألا يمكن تغيير هذا النذر؟»

«حسناً، لا أظنني أستطيع الخلاص من هذا النذر.»

فحملق فيها: «لماذا لا؟»

ما كان لها أن تعترف بذلك. ذلك أنه لم يكن يعلم بذلك أحد، وتمنت لو كانت قطعت لسانها قبل أن تقول ذلك.»

حاول أن يجد تعليلاً لما سمع، فلم يستطع. ما الذي كانت متلهفة إليه ما جعلها تأخذ على نفسها نذراً كهذا بدلاً من أن تعتمد على طاقاتها؟ هذه ليست شخصيتها التي يعرفها.

وعاد يسألها: «وما هذا النذر؟»

لم تجد سوى أن تكمل اعترافاتها إلى النهاية ما دامت وصلت إلى هذا الحد... فأجابت: «نذرت أنني، إذا بقي والدي على قيد الحياة، فسأبقى إلى جانبه، وأعمل في الشركة وأكرس حياتي لأبي...»

تلاشى صوتها وساعات العذاب الطويلة في ممر المستشفى، دون أن تعلم إن كان والدها سيعيش أم يموت، تعود إليها...

وارتجفت، شعرت بغصة في حلقها وهي تحدّق أمامها، تذكرت حادث الاصطدام، السيارة التي اندفعت صوبهما، من مكان ما، اصطدم بسيارتهما... صرخة أبيها. وشعرت بالدموع في عينيها وهي تقول: «كان الذنب ذنبي، على كل حال.»

«أوقفي السيارة.»

أعادها صوته، أمراً واضحاً، إلى وعيها.

«ماذا؟»

«قلت أوقفي السيارة.» ووضع يده على عجلة القيادة مؤكداً كلماته: «إن حالتك لا تسمح لك بالقيادة والحديث في نفس الوقت، خصوصاً عن موضوع كهذا.»

ماذا يظنها لكي يأمرها بما عليها أن تفعله؟ قالت: «سأسكت إذن، لا أدري ما الذي حدث لي...»

فقال: «بل أنت بحاجة إلى اخراج بقية هذا. يمكنك أن توقفي السيارة هنا.»

فثار طبعها: «ومن أنت لكي تخبرني بما أنا بحاجة إليه؟»

وضع يده بلطف على يدها التي على عجلة القيادة وحوّلها إلى اليمين وهو يقول: «شخص يهمه أمرك.»

أخذت تقاومه وتعدّل عجلة القيادة، قائلة: «آه، أهكذا؟»

لم يحاول أن يحرك العجلة مرة أخرى، ولكنه قال: «نعم، هكذا.»

اغرورقت عيناها بالدموع، تبألها، إنها ستنهزم الآن في أي وقت. أخذت تشتمه لذلك وهي تحول السيارة إلى جانب الطريق بينما تحاول جاهدة أن تمنع الدموع من التدفق.

«لا أريد أن يهتم بي أحد.»

«تباً لعدم رغبتك بذلك.» كان يريد أن يكون صديقها بقدر ما يرغب في أن يكون حبيبها. وتابع يقول: «كل شخص يحتاج إلى الآخرين فالعزلة تشوّه نظرتك إلى الأشياء، إنك بحاجة إلى الاقضاء لشخص يهمه أمرك، مثلي أنا. والآن، حدثيني وإلا فسنبقى هنا طوال النهار والليل أيضاً إذا احتاج الأمر.» وجذب بيده الأخرى مفاتيح السيارة من مكانها وأطبق عليها أصابعه.

ابتعدت عنه قدر إمكانها وهي تقول: «لا يمكنك أن تحتجزني في هذه السيارة، إن علينا عملاً يجب إنجازه.»

تنهد متسلحاً بالصبر وهو يقول: «لا أهتم حالياً بأي شيء عداك، وإذا كنت لم تلاحظي، فأنا أكبر حجماً منك بكثير.»

شبكت أليسون يديها في حجرها وأخذت تحدّق أمامها إلى حركة السير. ما أن أخذ هو يظن أنها ستلوذ بالصمت، إذا بها تبدأ الحديث بصوت جامد لا حسّ فيه.

لقد كانت تعرفه جيداً وتعرف ما هو عليه من اصرار، وأنه سيبقيها هنا كما قال.

«كنت في الخامسة من عمري عندما ماتت أمي. إن أبي لا يتحدث عنها مطلقاً. وهذا ما لا أستطيع فهمه أبداً، أن يكون له زوجة ثم لا يأتي على ذكرها على الاطلاق وكأنها لم تكن موجودة.» وسكتت لحظة أخذت تمرّ فيها بأصابعها على عجلة القيادة. «كانت ذات يوم، تملأ حياتي، تمسك بيدي، تجعل الأشياء رائعة الجمال... وفي اليوم التالي إذا هي في المستشفى.»

أغمضت أليسون عينيها، ولكن دموعها سالت من بين أهدابها. لقد بقيت طوال تلك السنوات يغمرها الحزن لذلك الشباب الذي انقصف، ولخسارتها هي. «ثم، إذا بها تغيب

عن حياتي. لقد ماتت بسبب اشتراكات حدثت لها اثر التهاب رئوي. وبعدها عشت وحيدة، باستثناء خدم المنزل.

أما أبي فكان دائم الانشغال والغياب عن المنزل.» حاولت أليسون وهي تقول ذلك أن لا تبدي انتقادها لذلك، ولكن الألم كان يتجلى في صوتها. «وهكذا فكرت في أنني إذا اجتهدت في دروسي، واشتغلت معه في الشركة، فقد ينتبه إليّ ويتحدث معي.»

رأى أنجلو ابتسامة حزينة فوق شفتيها، فشعر بالكراهية لذلك الرجل الذي سبب لها مثل هذا الحزن.

هذا بينما كانت هي تتابع قائلة: «لم يكن يتحدث إليّ قط، كلمات قليلة فقط هنا وهناك هي عادة، انتقادية، وأخيراً قررت أن هذا يكفي، وأن عليّ أن أنفرد بحياتي. وجدت وظيفة في شركة في نيفادا. وقبل رحيلي بيوم واحد كان أبي قد تأخر للالتحاق باجتماع له.»

أخذ صوتها بالانخفاض وهي تتذكر: «لم أكن قد وجدت فرصة أخبره بها بأنني سأسافر، فقد كان مشغولاً عن الاستماع إليّ، كان سائقه مريضاً، وهكذا تطوت لتوصيله، مفكرة في أن بإمكاني أن أخبره أثناء الطريق وأنهي الأمر.»

جذبت نفساً عميقاً قبل أن تتابع قائلة: «كان المطر ينهمر، وفجأة اندفعت تلك السيارة نحونا. حاولت الانحراف عن طريقها، ولكن لم يكن هناك مكان يسمح لي بذلك.»

كانت دموعها تنهمر الآن، فلم تعبأ بمسحها. «مكث أبي غائباً عن الوعي مدة أسبوعين. وعندما استعاد أخيراً وعيه كان قد أصبح مشلولاً.»

نظرت إلى أنجلو وقد تألقت عيناها بالدموع. «هذا الرجل

القوي المليء بالحيوية، والذي اعتاد الاندفاع من مكان لآخر، تاركاً طابعه على الحياة، قد أصبح مشلولاً. وأنا من فعل ذلك به.» كانت ما تزال تسمع صوته في أذنيها يتهمها.

أخرج أنجلو منديله من جيبه وأخذ يمسح به دموعها، ما هذا الذي تفكر فيه؟

«أليسون، لا ذنب لك فيما حدث.»

لكنها هزت رأسها بعناد: «لو لم أكن متوترة بذلك الشكل... لو لم أكن أحاول أن أجد الطريقة الفضلى لإخباره بأنني راحلة، بينما ربما كنت أرجو سراً أن يطلب مني البقاء لولا كل ذلك ربما ما كان حدث ما حدث.»

كانت قلبت ذلك الأمر في ذهنها مئات المرات، لتخرج دائماً بنفس النتيجة وهي أنها المسؤولة عما حدث.

أمسك بكتفيها يهزها، محاولاً أن يجعلها تهدأ وهو يقول: «مهما كان أمرك، فتلك السيارة كانت ستندفع وتصدمكما.»

مرّت بيدها على وجهها. ما هذا الذي تفعله بجلوسها هنا تبكي؟ «لو كنت منتبهة كما يجب، لرأيتها قادمة فتجنبت الحادث.»

وضع منديله في جيبه وهو يقول: «ربما كان ذلك وربما لم يكن، فهناك ألف شيء مختلف يوضع في الحسبان.» ووضع مفاتيح السيارة في يدها، ثم ضغط عليها مشجعاً، ما جعلها تشعر بالمساندة، بالحنان، بالقوة: «كان بإمكان أبيك أن يلغي الذهاب إلى ذلك الاجتماع، أو أن يأخذ سيارة أجرة، لا يمكنك السيطرة على كل شيء يا أليسون، فالأمور تحدث في هذا العالم دون خطأ منا، لا يمكنك أن تستمري في لوم نفسك لهذا الحادث بقية حياتك كلها.»

قالت وهي تضع المفتاح في مكانه: «ربما ما تقوله صحيح، ولكن بإمكاني أن أصلح الأمر بالنسبة إليه.»

أدرك ما تعنيه بذلك، فقال: «كيف؟ بتضحيتك بنفسك؟ لا أظنه يريد ذلك منك.»

بانت على شفتيها شبه بسمة خالية من البهجة: «انك لا تعرف أبي. إنه يتذكر كل شيء، ولا يسامح بشيء.»

فأومأ يوافقها على ذلك: «قدميني إليه إذن.»

لم تكن تتوقع منه ذلك: «ماذا؟»

فكرر قوله: «قدميني إليه، فأنا أحب أن أتعرف عليه.» كان يريد أن يعرف نوع هذا الرجل الذي يكبل ابنته بشعور الذنب بهذا الشكل.

هزت رأسها بحزم، ثم أدارت المحرك، ووقفت تنتظر انفتاح حركة السير، وهي تقول: «لا أظنها فكرة حسنة.»

«لما لا؟ ألا يهتم بالأشخاص الذين يدخلون حياتك؟»

فأجابت: «إنه لا يهتم بي أنا، فلماذا يهتم بالناس الذين يدخلون حياتي؟» سكتت وقد أدركت ما كانت تقول: «هذا إلى أنك لم تدخل حياتي.»

«آه، بل دخلت.»

شعرت به يبتسم دون أن تنظر إليه.

«اسمع يا أنجلو. ليس من الصواب لك أو لي أن نبدأ شيئاً. فأنا لست حرة بمشاعري بعد أن...»

«ذلك الالتزام؟ نعم، أعلم هذا. فقد تحدثنا الآن عن كل ذلك.» كان صبره لا ينفد، ولكنها جعلته كذلك. ذلك أنه لم يعرف انساناً قط بمثل عنادها هذا، وتابع يقول: «وماذا عن التزامك نحو نفسك؟»

فهزت كتفيها: «إنني مهندسة ومقاولة عامة، فأنا أقوم بالعمل الذي أحبه.»

«ولكن، ماذا عندما يتلاشى ضوء النهار؟»

أجابت بعناد: «اذهب للنوم.»

«إذن فقد حان الوقت لكي تستيقظي، يا أليسون. استيقظي للأشياء التي تعدها الحياة لك.»

فألقت عليه نظرة جانبية ذات معنى.

«هل تعني نفسك؟»

«إنها البداية.»

كانت خائفة، خائفة من تقديم مودتها، خائفة من المجازفة في السير على ذلك الممر المتخلخل. فإذا كان والدها لا يستطيع أن يحبها، فكيف يحبها شخص آخر؟

لكن الأمر كان وكأن ليس أمامها خيار آخر. إن عليها أن تسير على هذا الممر ولو خطوة على الأقل... خطوة واحدة، وإلا فستندم إلى الأبد.

«لا بأس، بعد هذه الزيارة إلى ميلر، سأتناول العشاء معك.»

آه... ما الذي تراها فعلت؟ «ولكن هذا كل شيء. عشاء فقط، هل فهمت؟»

فقال وهو يومىء نحو عجلة القيادة: «فهمت. والآن، هل تريدينني أن استلم قيادة السيارة أم أن بإمكانك متابعة ذلك؟»

شعرت بالارتباك لما كان تملكها من ضعف، حين سمحت لمشاعرها بأن تهزمها، وأن تدعه يراها بهذا الشكل، فقالت: «ولكنني أقود فعلاً، أليس كذلك؟»

«نعم، هذا صحيح.»

شعرت بحدتها في قولها ذاك، فهو لم يكن يستحق ذلك،

خصوصاً بعدما رأت من عطفه، فقالت بلهجة رقيقة: «أنجلو.»

«نعم؟»

«شكراً لك.»

لم يكن عليها أن تقول أكثر من ذلك، فقال وهو يستند إلى الخلف: «لا بأس، فلنتحدث في موضوع بهيج.»

ضحكت وهي تهز رأسها، يا له من رجل.

كانت الزيارة إلى مقر شركة ميلر وجونز قصيرة. فقد كان هارلي ميلر يحضر اجتماعاً، حسب ادعاء سكرتيرته، عندما دخل أنجلو وأليسون. حاولت تلك المرأة المخيفة أن تقطع عليهما الطريق، ولكن أنجلو أزاحها جانباً بسهولة، ليس بقوته الجسدية ولكن بظرفه. وتملكت الحيرة أليسون، صحيح أنه ليس أكثر من رأت من الرجال وسامة، ولكن الجانبية في شخصيته لم تكن عادية.

كما أنه كان قد ابتدأ يدخل قلبها، لرقته أكثر مما هو لجانبيته الكبيرة.

بعد أن هدأ أنجلو سكرتيرة ميلر إلى حد يكفي لكي يجعلها تعود إلى مكانها خلف المكتب، التفت إلى أليسون وأشار نحو الباب غامزاً بعينه. وعندما دخلا الغرفة رفع هارلي بصره مجفلاً ومنزعجاً لهذه المقاطعة. وسألهما: «ما الذي تفعلانه هنا، إنني في اجتماع.»

قالت أليسون بحلاوة وهي تزيح بمرفقها الرجل الذي كان جالساً أمامه: «إننا لن نتأخر طويلاً.» ووضعت قطعة السلك الكهربائي أمامه على مائدة المفاوضات المصقولة وهي تقول: «فسّر لنا هذا فقط، فنغادر حالاً.»

نظر هارلي إلى السلك ثم إلى أليسون وهو يقول: «هذا؟»

دفعتها إلى أمام عينيه وهي تقول: «إنها دون المواصفات القانونية، يا هارلي. هذا إذا أزعجت نفسك بالنظر إليه.»

أخرج منديله وأخذ يمسح به جبينه: «أهو كذلك؟»

كانت تكره الغش أكثر من أي شيء آخر ما عدا، ربما، نظرة أبيها وهو يقيّم بها عملها.

«إنها كذلك، وأنت تعرف هذا. لا أريدك أن تستعمل هذه. فأنا أريد النوع الذي اتفقنا عليه. فإذا لم تستبدله غداً، فنحن لن نلغي طلبنا هذا إليك فقط، ولكنني سأسرد قصتي عن احتيالك هذا وكيف أبدلت النوعية المطلوبة المرفقة بالطلب. وبعد ذلك لن يكون بإمكانك أن تبيع من الأسلاك ما يكفي لإنارة كعكة عيد.»

أخذ هارلي ينقل نظراته من وجه أليسون إلى وجه أنجلو فلم يجد مجالاً فيهما لأيّ صفقة. فقال: «ستحصلين على أسلاكك المطلوبة.»

لم يكن هذا كافياً بالنسبة إلى أنجلو، فقد كان يعرف جيداً هذا الطراز من الرجال. إذ رغم أن شركته كانت صغيرة، فقد أمضى في دنيا الأعمال، مع أبيه، أكثر مما أمضت أليسون.

فقال لهارلي باتزان: «غداً الساعة التاسعة.»

أومأ هارلي برأسه: «بالضبط.» وأطلق ضحكة متوترة.

الفصل التاسع

عندما عادا إلى موقف السيارات امام مكتب ميلر، دار انجلو حول السيارة إلى حيث صعد إلى مقعد القيادة في سيارة أليسون.

نظرت إليه بحيرة: «ما الذي تفعله؟»

«حسناً، بما انك لا تعلمين إلى أين نحن ذاهبان بينما انا أعلم، فعليّ ان أتولى القيادة.» وبسط يده يطلب المفتاح.

«إلا إذا كنت طبعاً حريصة على سيارتك. فأنا متفهم لذلك، فهي رائعة الجمال.»

فمدّت يدها إليه بالمفاتيح.

اخذ يجيل أنظاره في السيارة وهو يستقيم خلف عجلة القيادة، وفكر في أخيه: «ان شاد سيسر جداً إذا اخذ هذه السيارة في جولة قصيرة إذا لم يكن لديك مانع.»

«ليس لديّ مانع، ثم إنني لست حريصة على سيارتي، ان ما انا حريصة عليه هو شخصي.»

فرمقها بنظرة عاد بعدها ينظر إلى الطريق، «وهذا ما يجب عليك، ولكن هناك ما يجب قوله بالنسبة لسماحك للرجل المناسب بمشاركتك فيه.»

مدّت يدها تتمسك بمقبض الباب تحفظ بذلك توازنها، عندما اندفع بالسيارة بعنف حالما تغير لون إشارة السير: «انك سريع جداً.»

لم تكن تتحدث عن سرعة السيارة وكان هو يعلم ذلك.

«يمكنني الإبطاء.» وخفف ضغط قدمه فتناقصت السرعة.

أدركت انه يسير متجهاً إلى الناحية المضادة لناحية السوق، فقد كانا ذاهبين جنوباً وليس شمالاً فسألته: «ألسنا عائدين إلى حيث البناء؟»

فأجاب ضاحكاً: «كلا، بل إلى العشاء، هل تتذكرين؟»

عاد إليها شعور التشكك ذاك، فقالت: «حسناً، ربما كنت قلت شيئاً يقودك إلى الإعتقاد...»

كان قد اعتاد على ذلك الآن، خطوتان إلى الأمام وخطوة إلى الوراء، ولكن هذا مازال معتبراً تقدماً، فقال: «انني أتذكر كل كلمة ذهبية قلتها، قلت انك ستهربين معي لنتناول العشاء معاً على شاطىء ويكيكي.»

استقامت في جلستها: «انا لم اقل ذلك، قلت فقط انني سأتعشى بعد انتهاء المقابلة مع ميلر.» التفت اليها وعندما التقت عيناها بعينيه أدركت خطأها.

«إذن، فقد تذكرت؟»

«ركز عينيك فقط على الطريق، أرجوك.» ضحكت وهي تهز رأسها، كانت معجبة به، ما منعها من ان تستمر بالإنكار قائلة بانها كانت مخطئة.

عندما اتجهت بهما السيارة نحو شاطىء نيوبورت، نظرت إلى ساعتها، مازال لديها بقية عمل عليها ان تقوم به، وكانت تريد ان تمر على مكتبها لتنجز بعض الأوراق قبل ان تذهب إلى بيتها.

«انه لن يأخذ وقتاً طويلاً أليس كذلك؟ أعني العشاء.»

كان قد انعطف بالسيارة إلى بوليفار هاربر فنظرت إلى

ساعتها، ومالبثت ان أدركت ان هذه هي المرة الثالثة التي افعل فيها ذلك، فقد كانت متوترة الأعصاب: «أريد فقط ان القي نظرة أخرى على تصميم القبة، فهنالك شيء فيه يقلقني.» كلا، إذا شاءت ان تكون صادقة تماماً، فالبقاء معه منفردين هكذا، هو الذي يقلقها وليس القبة.

نظر انجلو إلى ساعته وقال: «لقد تجاوزت الخامسة.»

«نعم، أعلم ذلك، وما دخل هذا في الأمر؟»

«ألا تحبين قضاء وقت سار؟»

«ولكنني لا اتناول أجري في العمل على الساعة، كما تعلم.»

فضحك: «لو كان ذلك لما استطاع أحد ان يوفيك أجرك.» وتغير ضوء إشارة السير فانطلق بالسيارة. «ألم يخبرك احد بهذا حتى الآن؟»

«يخبرني بماذا؟»

«بأن عقد الثمانينات قد انتهى. لم يعد علينا ان نكون أبطالاً فوق مستوى البشر، فلا بأس في ان نخرج للترفيه عن أنفسنا مرة كل حين.»

«لا أريد ان أرفه عن نفسي، يا مارينو، فهذا انا وهكذا خلقت.»

لم يهتم بكلامها، فهو لم يسبق ان فعل ذلك من قبل ولن يفعله طبعاً، الآن خصوصاً بعد ان كشفت له منذ قليل، عن اعماقها. فقال: «آه، كلا فهناك بالنسبة اليك اكثر من دعامات الفولاذ والأخشاب والمسامير، يا أليسون كونراد.»

لم تكن تريد ان تجادله، فقد علمت مسبقاً عبث ذلك، فقالت: «هذه بلاد حرة يمكنك فيها ان تعبر عن افكارك كما

تشاء، ولكن بما انها بلاد حرة ليس عليّ ان استمع وهكذا أرجو ان تنزلني عند موقع البناء.»

أجاب بهدوء: «كلا.»

فرددت غير مصدقة: «كلا؟»

«كلا.»

اخذت تحدّق إليه لحظة قالت بعدها: «انك تعلم ان الخطف مازال مسألة يعاقب عليها القانون.»

«لا اظن ان اخذ امرأة لتشاهد فيلم ذهب مع الريح هي جريمة تؤدي إلى السجن.»

كان الآن قد اقترب من المطعم الذي يقصده، فقالت: «ذهب مع الريح؟»

فاوما مجيباً وهو يركن السيارة على بعد قليل من المطعم. «انه يعرض قريباً من هنا، ألم تشاهديه قط؟»

«طبعاً...» كانت مندفعة آلياً للقول نعم... ولكنها ما لبثت ان سكتت، ما الداعي إلى الكذب؟

«ألم تشاهديه؟»

كان يعلم جوابها قبل ان تقوله، فتابع يقول: «ربما انت الوحيدة في اميركا التي لم تشاهده.» اوما رأسه محاولاً ان يتصور نوع الحياة التي عاشتها، لا بد ان هذا التقشف هو الذي كوّن لديها هذه النظرة عن الحياة، وعاد يسأل: «ما الذي كنت تفعلينه في طور نشأتك؟»

«كنت اجتهد في دروسي، ثم كنت أقرأ كثيراً.» قالت ذلك بزهو.

تصورها فتاة صغيرة شقراء في غرفة نوم فسيحة جميلة، تجلس وحدها. «لا بد انك كنت تشعرين بالوحدة.»

فتح لها باب السيارة فترجلت وهي تسأله: «ما الذي حدث للعشاء؟»

قال بابتسامة عريضة: «فكرت في ان نأخذ عشاءنا معنا.»

ساورها شعور بالأمان معه، وأن لا شيء يمكن أن يؤذيها أبداً، ولكن هذا طبعاً غير صحيح، هذا إلى انها كانت ماتزال تراه مجنوناً، فسألته: «هل سنأكل في السينما؟»

قادها نحو مطعم صغير ذي باب أحمر وهو يجيبها قائلاً: «وماذا في ذلك؟»

يا له من رجل لا يفكر في كل شيء. «أولاً هو شيء مربك يوسخ الأيدي والملابس.»

حالما فتح لها باب المطعم، فاحت روائح الطعام الشهية حولها تذكرها بأن ما كانت تناولته من غداء لا يعدو ثلاث قطع بسكويت بالشوكولاته، وكان هو يقول لها: «ان العلب الكرتونية التي توضع فيها الأطعمة حصينة ضد تسرب السوائل.»

حمل انجلو كيس الأطعمة إلى دار السينما حيث هربه إلى الداخل بتغطيته بسترته، وشعرت أليسون برغبة في الضحك لم تستطع مقاومتها، تصورت نفسيهما أشبه بمراهقين يتسللان إلى السينما بفاكهة ممنوعة، وكانت اللائحة الموجودة فوق شباك قاطع التذاكر تمنع منعاً باتاً إحضار اي طعام أو شراب.

لقد جعلها انجلو تشعر وكأنها طفلة، أو هي طفلة للحظة، وامرأة في اللحظة التالية، وكان في هذا ما يكفي من تشوش الذهن لأي انسان.

وجد مقعدين حيث كانت السينما شبه خالية، وقال وهو يناولها منشفة ورقية: «عندما كنت صبياً صغيراً كانت

النقود لدينا قليلة، في تلك الأيام كانت السينما رخيصة، ومع ذلك فقد كان نادراً ما نذهب اليها، وقد اعتادت أمي ان تأخذني اليها كلما بقي لديها مبلغ كاف، كانت عندذاك تصنع زاداً من الدجاج المقلي والخبز، ثم ندخل فنجلس في الصف الأخير فنتفرج ونأكل.»

رأى رغم العتمة، ما ساد ملامحها من كآبة لاحت على وجهها لحظة فسألها: «ماذا حدث؟»

حاولت تركيز اهتمامها على الموسيقى الرائعة التي كانت تتجاوب في أجواء الدار وهي تقول: «لا شيء.»

ولكنه لم يشأ ان يسكت: «كلا، هيا اخبريني، هل ذلك بسبب شيء قلته أنا؟»

فابتسمت قائلة: «نعم، فقط اخذت اتساءل ما كنت سأشعر به لو كنت أنا وأمي نفعل الشيء نفسه.»

فابتسم لها قائلاً: «كنت مثلي في ذلك الحين ما عدا انك كنت اقصر مني كثيراً، اتريدين بيضة مسلوقة؟»

فكبحت دمعة كادت تسيل، وتناولت منه الكيس الذي كان قدمه اليها، شاكرة انه لم يلح عليها بالأسئلة، كان طيباً نحوها رغم زمالتهما الطويلة في العمل، وساورها شعور بأن الأمور بينهما ستبقى بهذا الشكل، وكان في شعورها هذا قدراً كبيراً من الراحة النفسية.

لم يكن لدى أليسون وقت مطلقاً للسينما، وذلك اثناء سنوات المراهقة، فقد كانت حياتها تسير في نظام صارم دقيق تحت إشراف مربيات كان يختارهن لها والدها، وعندما كبرت لم يشد اهتمامها السينما وما أشبه وذلك في الوقت الذي كان العمل وما تدين به لأبيها يحتل تفكيرها

وكيانها بأجمعه، وها هي ذي الآن تتوقع الملل والسأم في التفرج على فيلم عمره خمسون عاماً.

لكن الفيلم لم يلبث ان سحرها، وشد اهتمامها قوة سكارليت أوهارا وشخصيتها... تلك المرأة التي شقت طريقها خلال الأحداث الغريبة، ما اشبهها هي أليسون بسكارليت تلك المكافحة والمنتصرة بالطريقة الوحيدة التي تعرفها.

وعندما أضيئت الأنوار أخيراً، بقيت ألسون في مقعدها هادئة، تماماً ومازالت تمسك بالشواء كما لاحظ أنجلو بشدة دون ان تمسه.

كان بقية الموجودين في دار السينما قد ابتدأوا يخرجون ولكنها بقيت في مكانها وقد استولى عليها التأثر العميق، كان انجلو قد اخذ بالنهوض ولكنه عندما رآها مازالت جالسة، عاد فجلس وهو يقول: «كان فيلماً رائعاً، أليس كذلك؟»

أدارت عينيها اليه فالتقت نظراتهما وعند ذلك رأى دموعها وهي تساله: «هل تحب هذا النوع من الأفلام؟»

لم يكن واثقاً مما كانت تتوقع منه ان يجيب، فلم يكن بإستطاعته إلا ان يكون صادقاً فيقول: «نعم، أحبه.»

نهضت وهي تتنهد، يا لها من حمقاء إذ تتأثر لفيلم سينمائي بهذا الشكل البالغ، ولكن هذا ما حدث، لقد استعادت سكارليت كل شيء واكثر من ذلك، ولكنه خسرت أهم شيء في الحياة، وهو الحب، وقالت له: «ان نهاية الفيلم غير سعيدة.»

أهذا هو السبب إذن؟ وشعر بالإرتياح وخرجا معاً من الصالة وهو يقول: «هذه حال بعض الأشياء، أما بالنسبة إليّ فأنا احب ان اضع نهاياتي بنفسي.»

«وكيف بإمكانك ان تعاود كتابة قصة هذا الفيلم.»

كان هذا سهلاً بالنسبة إليه، فقد سبق ان قام بذلك منذ رأى الفيلم أول مرة، فقال وهو يأخذ مكانه في السيارة بجانبها: «حسناً، كان على سكارليت ان تمضي بعض الوقت في منزلها بالندم وإصلاح سلوكها، لكي تعود بعد ذلك للبحث عن رايت، ثم تسمع طرقاً على الباب ففتحته وإذا بها ترى رايت بتلر حبيبها.»

وسرّ إذ رآها تستمع اليه باهتمام. فقال وقد غير صوته متخذاً شخصية سكارليت: «آه، رايت... ها قد عدت إليّ. ثم ان رايت...»

وسكت انجلو إذ تصاعدت قهقهة أليسون، فقال يلومها متصنعاً الإستياء: «ما هذا؟ ان الضحك ممنوع هنا، فالموقف جاد.»

رفعت أليسون يدها: «انتظر، اعدك بأن لا...» وعادت إلى الضحك، وبجهد بالغ تمالكت نفسها، فقد بدا مضحكاً جداً بدور سكارليت وظريفاً للغاية.

قال بصبر: «هل انت مستعدة؟»

فأجابت محاولة التظاهر بالعبوس: «مستعدة.»

«لقد قال لها رايت وقد تألقت عيناه حباً: بصراحة يا عزيزتي لا يهمني احد.»

كان من المفترض ان تكون هذه كلمات رايت. فقد كان كل ما يريده انجلو هو ان يعطي أليسون نهاية سعيدة للفيلم، ولكن بعد ان تفوه بتلك الكلمات أدرك انه وإن كان يقلد صوت الممثل كلارك غابيل، إلا انه كان يبوح لها بما في قلبه هو.

قال لها بصوته الطبيعي: «هل رأيت؟ انني احب النهايات السعيدة.»

دوماً كانت أليسون فتاة مغلقة تكتم كل شيء، وكل شعور وكل فكر في اعماقها، فما لا يعلمه الناس عنها لن يستطيعوا

استعماله ضدها، ومادامت لا تدع أباها يعلم بأنها تتألم، فلن يكون بإمكانه ان يعلم بأنه سبب لها الألم، إنما الآن قد انتهى كل ذلك، لن يكون هناك مخبأ في داخلها تلجأ اليه بمشاعرها والامها، فقد دمره انجلو. دمره بعد ان حرك مشاعرها فأدركت انها تريده... تحبه.

لكنها حتى وهي تشعر نحوه بكل ذلك الشوق، كان اليأس يملكها.

تنحنحت شاعرة بالتوتر ثم قالت: «لقد تأخرنا، عليّ ان اعود الآن.»

لكنه لم يكن يريد لهذا اليوم ان ينتهي، فقال: «أليس هناك مكان آخر نذهب إليه هذه الليلة؟ هل نذهب لنتناول الآيس كريم؟ أو...»

فقاطعته: «كلا. لقد اخذتني إلى ما يكفي من أمكنة في يوم واحد.» سكتت وهي تنظر في عينيه: «انجلو؟»

«نعم.»

«لقد أمضيت وقتاً طيباً هذه الليلة.»

«نعم، وأنا كذلك، إذن فلن ترفعي عليّ دعوى بالخطف؟»

«ليس هذه المرة.» قالت ذلك ضاحكة، لقد كانت تشعر وهي بجانبه، بالمرح والخفة والحرية كما لم تشعر به منذ وقت طويل، ولكن المساء قد انتهى، واستدارت تصعد إلى مقعد القيادة في سيارتها وهي تقول: «سآخذك إلى حيث سيارتك.» رفعت عينيها اليه وقد تملكتها الدهشة إذ رأته يمسك بيدها يمنعها من قيادة السيارة، أتراه يريد ان يأخذها إلى مكان آخر؟

كان يشعر وكأنه يريد ان يسبح في عينيها هاتين وهي

ترفعهما إليه، ربما ستسنح له الفرصة لذلك في وقت آخر، وقال لها: «بل افضل ان أوصلك أنا إلى بيتك.»

لم يكن كلامه عقلانياً: «ولكن سيارتك في الموقف.»

فهز كتفيه دون اهتمام: «يمكنني ان استأجر سيارة قرب منزلك، فأنا أريد ان أرى بيتك وهذا هو الطريق الصواب للقيام بالأمور.»

فكرت في والدها. انه سيكون في المنزل الآن وهي لا تريد ان تفسد الأمور، فقد كان هذا المساء رائعاً: «لم اكن أدرك انك كنت تسلك (الطريق الصواب للقيام بالأمور.)»

فضحك قائلاً: «ان هنالك الكثير من الأمور التي تتعلق بي لا تعرفينها.»

فقالت: «انك تعني تلك الأمور التي يجب على أم أولادك ان تعرفها، أليس كذلك؟»

«ها انك فهمت الموضوع الآن.»

تملكها شعور دافىء لسماعها كلماته هذه ولكنها لم تشأ ان تسمح لنفسها بتصديقها وبأن المستقبل سيكون مختلفاً عن ماضيها، فقالت: «انجلو، ان هذا موضوع غاية في الأهمية.» كيف يجعلها تصدق؟

«هل أنت واثق من انك لا تريدني ان اوصلك إلى سيارتك؟»

«كل الثقة.»

فألقت اليه بالمفاتيح على سطح السيارة مذعنة قد لا يطلب منها ان تدخله المنزل على كل حال، «يبدو اننا سنواجه كثيراً من المتاعب.»

قال وهو يصعد إلى السيارة: «ليس لديّ ما اقوم به هذه الليلة، هذا إلى انني أريد التعرف إلى والدك.»

تلاشت الابتسامة عن شفتيها وهي تصعد إلى جانبه.

كانت ترجو ان يقنع بتوصيلها فقط إلى عتبة بيتها ثم ينظر بينما تطلب له سيارة أجرة، وقطبت جبينها وهي تفكر في تلك المقابلة «لا اظن...»

أدرك ما ستقوله فقاطعها بقوله: «فقط بصفتي مقاولاً.»

لم تشأ ان يتعرض انجلو لتدقيق والدها الجامد، فقالت: «ان أبي ليس حسن التصرف مع الناس يا انجلو.»

«لقد ادركت ذلك مسبقاً.»

شعرت بجفاف في فمها وهي تتصور الاثنين معاً في غرفة واحدة. وتملكها احساس وقائي قوي. وشعرت بالدهشة لمشاعر كهذه تمتلكها نحو انجلو: «انها ليست فكرة حسنة.»

لاحظ القلق في صوتها فتساءل عما إذا كانت تظنه سيضرب أباها، فقال: «لماذا لا تدعينني احكم على الأمور، يا أليسون؟»

فاعتدلت في جلستها محاولة ان تواجه الوضع بهدوء: «لا بأس، ولكن لا تقل انني لم أحذرك.»

ابتسم وهو يسلك الطريق المؤدي إلى بيتها، فقد كان أخرج العنوان من دليل الهاتف بعد معرفته باسمها: «سيدتي، لم تكوني تفعلين سوى إصدار التحذيرات إليّ منذ مقابلتنا الأولى ولم استمع إلى أي منها بعد.»

«كلا، انك لم تفعل ذلك.» لقد وافقته على ذلك، ولم يصحب اعلانها هذا نفس الإنزعاج الذي كانت تظن في البداية انها ستشعر به.

وفي الواقع، لم يصحب ذلك أي إزعاج.

كانت عينا مايلز كونراد صغيرتين ثاقبتين بالنسبة

لجسمه الكبير، كانتا زرقاوين باردتين، حدّق إلى انجلو من خلال نظارتيه السميكتين وقد بدا ان استياءه الواضح لاقتحام هذا الرجل الذي امامه، لعزلته، بدا وكأنه يلهب عدستيه هاتين.

استدار بكرسيه يواجه أليسون، ساداً بذلك طريق الدخول إلى انجلو بشكل جزئي: «أراك احضرت إلى البيت عامل بناء؟»

شعر انجلو بوضوح ان لويس الرابع عشر كان سيقول لابنته نفس الكلمات وبنفس اللهجة، مبدلاً كلمة فلاح بكلمة عامل بناء، أدركت انها اخطأت، وتمنت لو كانت اصرت على بقاء انجلو في الخارج، ولكنها أصبحت الآن في قلب الموضوع، وبالتالي عليها ان تتابعه إلى النهاية: «أبي، هذا انجلو مارينو، انه وشقيقه يقومان ببناء القسم الثاني من الملحق معنا.»

تجاهل كونراد كلياً يد انجلو الممدودة إلية وسأله: «هل هناك أمور تجري بشكل غير سليم، يا مارينو؟»

أجاب انجلو وقد أرخى يده إلى جانبه: «كلا.»

رأى ان بإمكان هذا الرجل ان يجمد بحيرة وذلك في وسط الصيف، وانقبض قلبه وهو يتصور أليسون تنشأ في هذا البيت، وتابع يقول: «لقد أردت فقط ان اتعرف اليك.»

فازداد عبوس مايلز وهو يستقيم في كرسيه، «هل جئت لتكوّن رأياً عن المنافس؟»

وضع انجلو ابهاميه في حزامه وقد بدا عليه منتهى الإرتياح في نظر أليسون. فهي لم تنتبه إلى ومضة الإنزعاج التي بدت في عينيه وهو يقول: «لم أكن افكر بك بصفتك منافساً، يا سيدي.»

فشخر مايلز ساخراً وعاد إلى قراءة صحيفته، وهو يقول: «حسناً، على الأقل لديك من الذكاء ما يجعلك تدرك ان تجهيزاتك لم تدخل في تحالفنا.»

«... بعد.»

رفع مايلز رأسه بعنف واشتدت اصابعه على الصحيفة: «ما معنى هذا؟»

لم تر أليسون أي فائدة في هذا فقالت: «انجلو.» ووضعت يدها على ذراعه تستعجله: «اظن عليك ان تذهب الآن، فقد استدعت إدنا سيارة أجرة لك، وهي ستكون هنا في اية لحظة. فلماذا لا...» ولكن انجلو لم يتزحزح، رغم انه كان دوماً سهل القياد ولكن هذا لا يعني ان يسمح للآخرين بأن يطردوه أو ينتصروا عليه، فقال مكرراً قوله: «لقد قلت ما معناه (لم يحدث بعد)، واظن ان عملنا في ملحق السوق هذا ليس سوى لوح القفز الذي تحتاجه شركتنا لكي تدخل إلى التحالف معك.»

ألقى مايلز الصحيفة من يده: «كيف تجرؤ؟ ان عدم تمكنها من الفوز بالعطاء وحدها...» وأشار بيده باستخفاف نحو أليسون «ودخولك على اكتافنا لا يجعلك كفوءاً.»

لو كان لوّح بعلم احمر امام ثور، لما كانت ردة فعل الحيوان إزاء هذا، اكثر عنفاً كان على أنجلو ان يكبح شتيمة غضب. يا للعجوز الأحمق فهو بجملة واحدة استطاع ان يهين مارينو وماكليلان وأليسون جميعاً فاقداً بذلك مودتهم.

يا له من جحيم هذا البيت الذي نشأت فيه أليسون.

استطاع انجلو ان يحتفظ بصوته هادئاً وهو يقول: «ان شركة مارينو وماكليلان لا تصعد على اكتاف احد، يا سيد

كونراد، فعملنا يتحدث عن نفسه.» واستدار نحو أليسو
«سأراك غداً، يا أليسون.»

لم يتضمن صوته أي إشارة إلى انه يريدها ان تتبعه، فأخذ
تنظر اليه وهو يخرج وقد تملكها غضب ويأس بالغان.

وأعادها إلى وعيها صوت والدها: «ما الذي قصد
بإحضارك رجلاً كهذا إلى بيتي.»

لشد ما تكره الطريقة التي يفرّق فيها بين الناس، وقال
له: «انه منزلي انا أيضاً، يا أبي، كما انك لا تعرف شيئاً
هذا الرجل.»

فقال لها مزمجراً: «يجب ان يكون كلامك مهذباً حين
تتحدثين إليّ.»

جعلها الغضب تقول بجمود: «أرجو المعذرة يا أبي، فقد
شعرت فجأة بعدم الرغبة في ان اكون مهذبة هذه الليلة.»
واستدارت خارجة من الغرفة بسرعة متجاهلة الكلمات التي
صاح بها والدها في أثرها.

الفصل العاشر

جلس أنجلو إلى مائدة المطبخ أمام فنجان من القهوة
السوداء بردت منذ فترة طويلة. وكان يقلّب ببطء صفحات
صحيفة الأحد دون أن يرى شيئاً.

ذلك أنه لم يستطع أن ينسى أياً مما حدث في ليلة الجمعة.

دوماً كانت لديه القدرة على تقييم الناس والوضع
بسرعة، وبدقة لا بأس بها، وكانت هذه ميزة يشترك شاد
فيها معه. إذ بينما قرر أنجلو أن وراء برودة أليسون
الظاهرة امرأة دافئة معطاءة يريدها أن تكون شريكة حياته
الدائمة، أدرك أيضاً أن وراء برودة مايلز كونراد الظاهرة،
لا يوجد سوى برودة داخلية.

ذلك أن عيني الشخص تكشفان الأسرار أكثر من الحركات
والجمل، وعينا مايلز كانتا باردتين برودة الحجر، دون أية
لمحة انسانية فيهما.

وأخيراً، عبس وهو يذوق قهوته، فوقف يلقي بها
خارجاً، وسكب لنفسه كوباً آخر أخذ يتأمله وهو يعجب مما
يجعل امرأة تتزوج رجلاً مثله، ما الذي دفع والدة أليسون
إلى تضييع نفسها مع رجل مثل كونراد؟

مهما كان السبب، فقد تزوجت تلك المرأة من كونراد
وأنجبت منه مخلوقة رائعة الجمال غير مسموح لها بأن
تدبر حياتها وذلك بتكريسها لتصاميم هندسية وأبحاث لا
تنتهي فقط لكي ترضي والداً لا يرضى أبداً.

رشف أنجلو قهوته، شاعراً بالسائل الساخن ينتشر في جسمه. كان يبحث عن طريقة يذيب بها دفاعات أليسون بشكل نهائي.

إنه سيدعو أليسون إلى عشاء يوم الأحد في منزل أمه فإذا لم يجعل وجود السيدة مارينو والآخرين أليسون تحن إلى حياة غير الإسمنت والدعامات الفولاذية، فهو إذن سيفتقد جداً صدق تخمينه بالنسبة إلى داخلية المرأة هذه.

لم يكن عليه أن يبلغ أمه أنه سيحضر إلى منزلها صديقة له، فقد كانت تلح عليه بذلك باستمرار منذ سنوات. أما ما هو بحاجة إلى القيام به، على كل حال، فهو اقناع أليسون، ولكن القول أسهل من الفعل.

ذلك أنه عندما أدار رقم هاتفها، تملكته الدهشة عندما أجابه والدها. لم يكن معقولاً أن يجيب شخص مثل كونراد على مكالمات هاتفه. وكان أنجلو يأمل في أن يتحدث إلى مدبرة بيت كونراد، أو إلى أليسون نفسها، أما الحديث إلى مايلز فقد جعل الأمور صعبة.

أجابه الرجل بعد أن عرّفه أنجلو بنفسه، أجابه باقتضاب: «أليسون ليست هنا.»

«هل تعرف أين هي؟» ساله أنجلو ذلك بسرعة قبل أن يقفل مايلز الهاتف.

«فأنا أريد أن أدعوها إلى عشاء الأحد.»

«إنها تتناول عشاء الأحد معي.» وأقفل الهاتف قبل أن يتمكن أنجلو من توجيه أي سؤال آخر.

تمتم أنجلو وهو يضع السماعة: «ما أحسن الحديث

معك.» وأخذ يحدّق في السماعة مفكراً في ما يجب عليه أن يفعل، إن لديه خيارات عدة، كعادته على الدوام.

على افتراض أن أليسون كانت في المنزل وأن والدها لم يكن صادقاً في إنكاره ذلك، فقد ذهب أنجلو إلى منزلها، وعندما قرع الباب، شعر بالارتياح عندما فتحت له مدبرة المنزل الباب، عندما رأى هذه المرأة في المرة الماضية، كان يتوقع أن يجدها مخلوقة رزينة صارمة الملامح تعكس بذلك جدران هذا المبنى والذي لا يمكن لشيء أن يجعل منه بيتاً. ولكن إدنا كيلر كانت امرأة متوسطة العمر ذات عينين زرقاوين براقتين وشخصية دافئة.

كانت أليسون واثقة من أن إدنا هي الوحيدة التي تملك العزيمة الكافية لمواجهة أبيها إذا ما تملكته إحدى ثوراته العاصفة.

وإذ كان ذهن أنجلو مشغولاً بأليسون، فقد رأى فجأة أنه لا يستطيع أن يتذكر اسم هذه المرأة تماماً: «اسمك هو إدنا، أليس كذلك؟»

«لقد كان هذا هو اسمي طوال الثمانية وستين عاماً الماضية. ما الذي أستطيع عمله لأجلك، يا سيد مارينو؟»

كانت المرأة دافئة الشخصية بقدر برودة مايلز كونراد، فسألها أنجلو: «هل تعلمين ما إذا كانت أليسون في الداخل؟»

«كلا.» قالت ذلك وهي تنظر من فوق كتفها لترى إن كانا ما يزالان وحدهما، وعندما لم تر رئيسها خفضت صوتها، من باب الحذر: «إنه يوم الأحد، فإذا هي لم تذهب إلى ورشة البناء، فهي تذهب إلى منتجع المياه المعدنية، وهي تمكث

هناك، عادة، من حوالي العاشرة إلى الواحدة بعد الظهر.»

كان منزل أليسون من الاتساع بحيث يصلح لتمارينها الرياضية إذا شاءت. وتكهن بأن أليسون تستمتع بوجودها خارج المنزل قدر استمتاعها بالتريض، فنظر إلى إدنا يسألها: «هل بإمكانك أن تخبريني بالضبط باسم المنتجع الصحي ذاك؟»

سادت الرقة ملامحها وهي تبتسم قائلة: «هل أنت معجب بها، يا سيد مارينو؟»

نظر إليها متأملاً، إنها كأمه، تحب أن تكون واسطة زواج. وكان هذا في مصلحته إذ بإمكانها أن تساعده إلى حد كبير. فقال: «ادعيني أنجلو. كما إنني معجب حقاً بها.»

فأومأت برأسها مسرورة: «لقد حان الوقت ليظهر في حياتها شخص مثلك.» ثم كتبت له عنوان المنتجع على قطعة ورق.

* * *

ألقت موظفة الاستقبال في منتجع سكوير الصحي نظرة طويلة على جسم أنجلو القوي العضلات وقررت أن الرجل جاد فعلاً في السؤال عن إمكانية دخوله في عضوية المكان، وهكذا استدعت مساعدتها لتجلس في مكانها، ثم تطوعت هي لأخذ أنجلو في جولة تريه المكان شخصياً.

ولكن ما أن مرا بأول باب، حتى رأى أليسون على عجلة التمرين، ولم يكن في الغرفة سواها. وبهدوء، أخبر أنجلو الفتاة الثرثارة التي بجانبه بأنه يريد أن يجول في الأنحاء بنفسه، فتركته كارهة.

وقف أنجلو لحظة عند العتبة ينظر إليها. كان واضحاً أن أليسون كانت غافلة عما يدور حولها. كانت كعادتها التي عرفها عنها في مجال العمل، تركز ذهنها كلياً على ما تقوم به. وما أكثر ما سيسره أن ينتقل تكريس اهتمامها هذا إليه هو.

كانت أليسون ترتدي بنطلوناً قصيراً ذا حزام من المطاط، وقميصاً ملتصقاً بجسمها. أعجبه منها ما يبدو عليها من سعادة بهذه الملابس وهي التي بإمكانها أن تشتري أفخر الملابس، واعتبر هذا ميزة طيبة فيها.

زادت من سرعتها، منحنية إلى الأمام متمسكة بالحاجز الأمامي وكانت تضع على أذنيها سماعتين متصلتين بمسجل في خصرها، فتساءل عما إذا كانت تستمع إلى موسيقى أو شيء متعلق بالعمل. فهذه هي عادتها، وألقى نظرة على ساعته، كان الوقت قد تأخر. فإذا كان يريد أن يعد عشاء، فسيكون عليه أن يقوم بكثير من الاقناع وذلك في وقت قصير.

لم تلحظ أليسون وجوده إلا بعد أن وقف أمامها مباشرة. لقد كانت موسيقى فيلم ذهب مع الريح تملأ رأسها، فقد اشترتها مسجلة على شريط في طريق عودتها إلى البيت نهار السبت، كان يذكرها بأنجلو وليلة الجمعة. وكانت مستغرقة في ذكرياتها عنه إلى حد كادت تنقلب معه إلى جانبها وهي تراه يقف فجأة أمامها.

نزعت السماعات وهي تحدق إليه ذاهلة، كان هو حقيقة. «ما الذي تفعله هنا؟»

فاقترب بوجهه منها قائلاً: «كنت أراقبك تجهدين نفسك

بمثل هذا العنف، إنك لا تعرفين حقاً كيف تهوّنين عليك الأمور. أليس كذلك؟»

نزلت عن العجلة، وتناولت منشفة عن المشجب أخذت تمسح بها جبينها، ثم سألته وهي تقفل جهاز الموسيقى وتضعه على كرسي مستطيل ثم تجلس بجانبه: «كيف عثرت عليّ؟»

فجلس بجانبها وهو يجيب: «أخبرتني إدنا بذلك.»

فقالت بدهشة: «إدنا؟»

«مديرة منزلك.»

«إنني أعرف من هي إدنا، متى تكلمت معها؟»

«هذا الصباح، لقد جئت إلى بيتك.»

وعندما أخذت تحدق إليه صامتة، سألها: «ما الذي تفعلينه هنا؟»

فأشارت إلى المعدات والأجهزة حولها. فقد كانت أمضت هنا ساعتين تقريباً، وقالت: «أتريض.» ولكن ما الذي فعله هو بذهابه إلى بيتها؟ ألم يكفه اصطدام واحد مع أبيها؟

سألها: «لماذا هنا؟ أما كان بإمكانك إقامة أجهزة التريض هذه في المنزل؟»

فهزت كتفيها: «إنني أحب أن أقوم بذلك هنا، بعيداً عن البيت.» لقد أضافت الجملة الأخيرة لأنها كانت تعلم أن هذا ما كان يريد أن يسمعه.

«لماذا لا تنتقلين من منزلك؟»

فهزت كتفيها مرة أخرى وقد سرحت بنظراتها بعيداً. كان من الصعب عليها النظر في عينيه اللتين يبدو أنهما تعرفان كل شيء. «لا أستطيع.»

«لماذا؟»

كانت كلمة صغيرة تطلب الكثير.

«إنه بحاجة إليّ.»

«إنه لا يحتاج إلى أي شيء ما عدا تغيير قلبه بقلب آخر.»

«لقد كنت وعدته بأن أبقى في الشركة.»

كانت مكبلة بالقيود وكان هو يريدها أن تتحرر، ليس لأجله هو بل لأجلها، ولكن لا يمكن لأحد أن يقوم بذلك، سواها، إن بإمكانه فقط أن يشير إلى الأشياء: «أظنه قادراً تماماً على إدارة كل شيء.»

فنهضت واقفة إلى حيث الجهاز فأدارته وهي تقول: «إنني مدينة له.»

تقدم ووقف أمامها بحيث لم تستطع تحويل نظراتها عنه: «إنك مدينة له بحب البنوة والاحترام وليس بحياتك، يا أليسون.»

لم تستطع أن تتابع التريض وهو يقف في مواجهتها فعادت تقفل الجهاز بغضب: «هل جئت تبحث عني لتلقي علي محاضرة؟»

كان صبره قد بدأ يفرغ وكان هو يعرف ذلك، رغم أنه من أسرة تتصف بهدوء الأعصاب. وكان هو كذلك أيضاً بوجه عام: «كلا، فقد جئت لأدعوك إلى العشاء.»

فلوت شفتيها: «عشاء آخر ناكله في السينما؟»

«هذه ليست فكرة سيئة في الحقيقة. ولكنني أريد دعوتك الآن إلى عشاء في منزل أمي.» ورأى النظرة الحذرة التي بدت في عينيها، فسارع يقول: «إن عشاء الأحد بمثابة فرض لديها تجتمع فيه الأسرة كل أسبوع ولا يستطيع أحد منهم أن يتأخر عنه.»

«ولكنني لست من أفراد الأسرة.»

فقال بلطف: «ولكن معرفتهم لن تضرك بشيء، أليس كذلك؟»

فقالت ببراءة: «لا أدري.»

كان يريدها حقاً أن تتعرف إلى أسرته ويتعرفون إليها.

«اسمعي، أنا لم أخطىء في أخذك إلى فيلم ذهب مع الريح، أليس كذلك؟ لقد أعجبك، أليس كذلك؟»

«نعم، ولكن...» وكان احتجاجها دون حماسة.

«إنك ستحبين أمي، فكري في أنك ستبهجين قلب امرأة عجوز.»

فرفعت وجهها تنظر إلى وجهه: «وكيف أقوم بذلك؟»

ضحك وهو يفكر في أمه. ذلك أنها، بعد أن تزوج شاد ودوتي، قد ركزت كل اهتمامها به. خصوصاً بالبحث عن زوجة له، فقال: «إن مجرد رؤيتها للكرسي الخالي بجانبي على المائدة، ممتلئاً، يدخل البهجة إلى قلبها.»

فعضت شفتها مترددة خائفة: «لا أدري...»

«أنا أدري.»

• • •

حتى بعد أن وقفت أليسون بجانب أنجلو أمام منزل صغير مكون من طابقين، مرتدية تنورة وقميصاً بسيطين كانت أحضرتهما معها إلى المنتجع، حتى الآن كانت ما تزال تتساءل كيف استطاع إحضارها إلى هنا، لم يكن لديها رغبة في مقابلة أسرته، أن ترى المكان والحياة اللذين لن تتمكن من معرفتهما، ذلك أنها منذ سنوات، بعد

ذلك الحادث، قد رضيت بطريقة حياتها وبما سيأتي به المستقبل فلماذا يعذبها بشيء تعرف هي أنه لن يحدث أبداً؟

كانت على وشك أن تقول له أنها قد غيرت رأيها بالنسبة لتناول العشاء، عندما فتح الباب ووقفت أمامها امرأة قد خط الشيب شعرها، ذات عينين بنفس لون عيني أنجلو، ورأت أليسون الشبه على الفور، وكان في الابتسامة.

كانت بريدجيت مارينو أقصر من أليسون بخمسة سنتمترات، وأثقل وزناً بحوالي عشرة كيلوغرامات. عندما فتحت الباب، توقعت أليسون من المرأة أن تتمعن فيها عن قرب كما يفعل والدها لأنها لم تكن تعرف سواه.

لكن بريدجيت احتوت أليسون بين ذراعيها بعناق رقيق رافىء، ثم أمسكت بها بعيداً عنها بقدر ما تسمح به ذراعاها ومضت تتأمل وجهها، لقد عرفت السيدة مارينو على الفور من تكون هذه الفتاة، فهي بعد الاستماع إلى حديث أنجلو عنها، قد أخذت تنتظر حضورها، إن لم يكن هذا الأحد، فالذي بعده، فالمسألة كانت مسألة وقت ليس إلا.

كانت أليسون أكثر نحافة بقليل بالنسبة إلى ذوق بريدجيت. ولكن تعاقب عشاءات الأحد هو كفيل بتعديل هذا مع الأيام. «آه، ها أنت ذي هنا أخيراً.» وألقت على أنجلو نظرة راضية. «تفضلا، تفضلا.» وسارت أمامهما إلى غرفة الجلوس.

لم تصدق أليسون ما سمعت: «هل أخبرت أمك عني؟»

لم يعرف ما يعجبها أو لا يعجبها، فهو لم ير سوى التساؤل في عينيها. فقال وهو يتبع أمه: «ربما كنت قلت

كلمة من هنا، وكلمة من هناك. وأمي تحب زخرفة الموضوع وتزيينه.»

عندما تكون في عملها كانت تشعر بالثقة بالنفس. فقد كانت تعرف ما تعمل. وفي اجتماعات العمل كانت حقائقها مباشرة، وأرقامها مصححة مرتين. وذلك يجعلها تتكلم باطمئنان. أما في الحفلات فلم تكن تذهب إليها كثيراً لأنها لا تستطيع التحكم في نفسها هناك أما هنا، فلا بد أن الأمر سيكون أسوأ.

ولأول مرة في حياتها، تفكر أليسون في الهرب، وأحس أنجلو بتوترها وترددها، فقال لها: «تعالي أعرّفك إلى الجميع.»

فبذلت أليسون جهدها لكي تبدو شجاعة.

كانت جدران غرفة الجلوس مغطاة بالصور الفوتوغرافية المؤطرة من كل الأحجام، بعضها حائل اللون، تشجعت وهي ترى وجهاً مألوفاً وأنجلو يقدمه إليها قائلاً: «لقد سبق وقابلت شاد، وهذه جاني زوجته.»

نظرت أليسون إلى امرأة طويلة القامة مهيبة الشكل تقف بجانب شاد. وعندما ابتسمت لأليسون، شعرت هذه بفيض من الدفء المطمئن ينبثق من ابتسامتها تلك.

شدّ أنجلو غلاماً أشقر طويل القامة من ذراعه قائلاً: «وهذا الفتى الجميل هو ابنهما فرانكي.» ثم انحنى يلتقط طفلة صغيرة لا تكاد تتجاوز السنة الأولى من عمرها: «أما هذه الصغيرة التي تحاول الإمساك بحذائك فهي ابنتهما بريدجيت.»

بعد أن قبل الرأس الصغير الذهبي، ناول الطفلة إلى شاد،

ثم استدار يشير إلى امرأة تقف إلى يمين أليسون: «وهذه أختي دوتي، إن لونها ليس أخضر، في العادة، ولكنها تبدو ذلك لأنها حامل الآن.» وضحك لأخته وهو يشعر باللهفة إلى أن يحمل الطفل الجديد بين ذراعيه، كان الشيء الوحيد الذي يشعره بسرور أكثر مما يتملكه لرؤية أطفال الأسرة، هو انتظاره الوقت الذي يصبح فيه لديه أطفال يلعب معهم ويغمرهم بحبه، أطفال من أليسون.

وفجأة، وجدت أليسون يدها وقد قبضت عليها تلك الشقراء التي كان أنجلو يقدمها إليها.

«مرحباً، ما أسعدني بالتعرف إليك.» وكان من الصعب مقاومة تأثير حيوية دوتي ونشاطها، لقد كادت أليسون تصدق حقاً أن المرأة كانت تعني ما تقول. فقد بدت مخلصة للغاية، ولكن لماذا تشعر بالسعادة للتعرف عليها؟ كان هذا شيئاً لم تفهمه أليسون.

تابع أنجلو تعريفها بباقي أفراد العائلة: «هذا الشاب ذو البذلة الغالية الثمن والذي يبدو وكأنه يظن نفسها اخترع الأبوة، هو زوجها شيا.» ثم مدّ ذراعه يحتضن فتاة مراهقة رشيقة الجسم. «وهذه ابنتهما، أليكس. أما أمي فقد سبق وعرفتها.» ثم وقف في المؤخرة وهو يقول: «ها نحن كلنا، حتى الآن.»

كان الزهو ينضح من صوته، وتملك أليسون نوع من الحسد، ما أجمل أن يشعر امرؤ بالزهو بأسرته، وبالرغبة في تقديمهم إلى آخرين قائلاً: «هؤلاء أهلي.» كانت سليلة أسرة ذات مكانة واعتبار، وابنة رجل اسمه مطبوع على بعض أفخر المباني في المنطقة، هذا عدا عدد المباني

المنتشرة في أنحاء البلاد، إنها على استعداد لاستبدال هذا كله، وفي غمضة عين، بما يملكه أنجلو، وبما يشعر به إزاء ذلك. فهنا توجد المحبة، والزهو الناتج عن المحبة، وليس عن طريق الولادة من أسرة ارستقراطية.

أخذت تصافح الجميع، راسمة ابتسامة على شفتيها، شاعرة بتوتر لا حدود له وبأن لا علاقة لها بهذا المكان وبين كل هذه المشاعر الدافئة وأنها سرعان ما ستجد نفسها، في أي لحظة، خارج هذا كله.

اغتنمت المرأة السوداء الشعر، والتي قدمها أنجلو باسم جاتي، فرصة فترة الهدوء المؤقت هذا، فوضعت يدها على ذراع أليسون تقودها إلى معرض صور الأسرة على أحد جدران الغرفة.

لأول مرة في حياتها، تشعر أليسون، وهي ترى صور وجوه الأطفال الضاحكة، تشعر بالحنين إلى أن يكون لها أطفال هي أيضاً، ولكنها سرعان ما نبذت هذه الفكرة. فقد كان هذا النوع من التفكير عبثاً، فهي قد تصبح أماً فظيعة، فهي تجهل كلياً كيف تتصرف الأمهات، ولهذا قد يصلح أنجلو للقيام بدور الأم أكثر منها، إذ من الواضح تعلقه بهذه الفكرة.

تمتمت جاتي وهي تشير إلى الصور: «ليس هذا سوى عذر، فقد شعرت بتوترك ورغبتك في التنفس.»

بدت على شفتي أليسون ابتسامة أسف، فهي عادة، ماهرة في إخفاء مشاعرها، فسألتها: «هل شعوري واضح إلى هذا الحد؟»

فأومأت جاتي وقد بدا العطف في عينيها: «إن منظرك

هو نفس منظري كما أتصور، عندما أحضرني شاد إلى عشاء الأحد هنا لأول مرة.» واقتربت منها هامسة: «كدت أموت خوفاً.»

فقالت أليسون: «إنني لست خائفة، إنهم فقط فياضو المشاعر، وهذا كل شيء.»

ضحكت جاتي وقالت بلهجة دافئة: «إنهم حقاً كذلك. ليس من المعتاد كثيراً أن يصادف إنسان مثل هذا الجدار من المحبة.» وسكتت لحظة قبل أن تفضي إلى أليسون هامسة: «أما أنا فكانت حياتي خالية من ذلك.»

نظرت أليسون إلى جاتي وقد تملكتها الدهشة وهي ترى امرأة تعترف بأشياء شخصية لامرأة غريبة عنها.

تابعت جاتي تقول: «لقد كانت شكوكي كبيرة إزاء كل تلك المحبة، ولكنني ما لبثت أن أدركت أنها حقيقية فلا تخطئي في ذلك، إنهم يريدون حقاً أن يحبوك.» ونظرت جاتي في عيني أليسون تطمئنها: «نحن جميعاً نريد هذا.»

لم يبد هذا شيئاً عقلانياً بالنسبة إلى أليسون، لم يكن منطقياً: «ولكن لماذا؟»

«لأن أنجلو اختارك، ونحن جميعاً نحب أنجلو. فهو رجل بالغ الدفء مليء بالمحبة، عليك أن تريه مع الأولاد.» ونظرت جاتي إلى الغرفة التالية حيث كان فرانكي وألبكس يغمرانه بالأسئلة عن شيء ما. «دوماً بإمكان أنجلو أن يجد وقتاً لهم مهما كان الأمر.» واستدارت إلى أليسون تقول: «وهذا شيء نادر جداً في الرجال.»

فكرت أليسون في أبيها، لم تستطع أن تتذكر ليلة واحدة، أمضتها معه وهي طفلة. فلا لعب معه، ولا حكايات

قبل النوم، ولا خروج معه... حتى أنها لم يكن لديها فكرة عن أن الآباء يقومون بمثل هذه الأعمال إلا بعد أن وصلت إلى طور المراهقة.

أجابت: «نعم، أعرف هذا.»

«إنك تجعلينها تعيسة.» قالت دوتي هذا لجاتي عابثة وهي تتقدم نحو أليسون: «هذا لن يعجب أنجلو.»

احمر وجه أليسون: «آسفة، فقد كنت فقط أفكر في شيء ما.»

مالت دوتي رأسها وتفحصتها لحظة ثم سألتها: «في العمل؟»

كان الكذب أسهل على أليسون من قول الحقيقة، والتي كانت مؤلمة إلى حد لا يمكنها معه مكاشفة أحد بها، حتى لهؤلاء الذين يبدون استعداداً للتخفيف من أعبائها، وهكذا أجابت: «نعم.»

فأومأت دوتي قائلة: «كانت جاتي في نفس المشكلة إلى أن أحضرها شاد إلى هنا.»

قالت جاتي توضح رأيها لأليسون: «إن العمل ليس خطأ، ولكن يجب أن لا يحتكر حياتك كلها.»

فقالت دوتي موافقة وهي تتابط ذراع أليسون وتعيدها إلى وسط الغرفة: «هذا صحيح. يجب أن لا يجعلك العمل تخسرين أجمل قسم في حياتك.»

فسألتها أليسون: «وهل تشتغلين أنت؟»

أجابت دوتي: «إن جاتي هي محاسبة في شركة خاصة بها، أما أنا فطبيبة نفسية للأطفال.»

أجفلت أليسون وهي تسمع هذا ما جعل دوتي تقول وهي

تغمز بعينها ضاحكة: «لا تقلقي، فأنا لا أشتغل يوم الأحد.»

فابتسمت أليسون وهي تحاول التخلص من التوتر الذي يتملكها. لقد كان هذا الوضع غير مألوف بالنسبة إليها ولم تكن تعرف كيف تتصرف. فالانسجام مع النفس لم يكن من عادتها فكيف بذلك مع الآخرين؟

تقدمت والدة أنجلو نحو النسوة ووضعت يدها على كتف أليسون وهي تسألها: «هل تعرفين تقشير البطاطا؟»

فأجفلت أليسون وظنت نفسها لم تسمع جيداً وسألتها: «أرجو المعذرة؟»

أعادت بريدجيت سؤالها ببطء: «نعم، تقشير البطاطا، هل تحسنينه؟»

فأجابت أليسون: «حسناً، نعم يمكنني ذلك.» لم يسبق أن ألقى عليها أحد قط مثل هذا السؤال. فقد اعتادت أسئلة تتعلق بالهندسة. حتى في الحفلات التي كان العمل يضطرها لحضورها، لم يأت فيها أحد قط على ذكر المطبخ والطبخ.

لم تكن تحسن العمل في المطبخ بشكل جيد، فقد كانت إذا تصرّ على إعداد كل الوجبات ولكنها عندما كانت تسكن بمفردها، كانت أحياناً تحاول إعداد شيء من الطعام لنفسها، مهملة الأطعمة المثلجة في ثلاجتها.

أما درجة نجاحها في ذلك، فهي قصة أخرى بالطبع.

أومأت بريدجيت برأسها قائلة: «هذا حسن.» كانت تريد أن تتأكد من أن أنجلو لن يموت جوعاً إذا هو تزوج هذه الفتاة. لقد كانت علمته كيف يطهي، تماماً كما علمت الآخرين، ولكن كان يريحها أن تعلم أن بإمكان زوجته إعداد بعض أنواع الطعام، هي أيضاً.

«تعالي، إنني بحاجة إليك.» ثم أمسكت بيدها وجرتها معها إلى المطبخ.

نظرت أليسون نحو أنجلو تطلب العون، ولكن كانت هناك طفلة عمرها عام تعتلي ظهره، وكان هو يسير على الأربع ويصهل كالحصان، ملأها هذا المشهد برقة لا توصف، فقد كانت تتصوره بهذا الشكل مع طفلهما...

لكنها ما لبثت أن نبذت هذا التفكير معتبرة إياه مستحيلاً، فهذا النوع من الحياة ليس لها، وهي تعرف بالضبط ما سيكون عليه مستقبلها، فهو لا يتضمن زوجاً وأولاداً.

ومع ذلك، فقد أسلمت قيادها لوالدة أنجلو.

الفصل الحادي عشر

أخذت بريدجيت مارينو تنظر إلى المرأة الشابة الجالسة إلى مائدة المطبخ تقشر البطاطا. كانت القشور المكومة أمامها أسمك مما يجب بريدجيت ولكن ليس هذا هو المهم، فهي لم تقصد سوى الانفراد بأليسون دون مقاطعة من أحد وهي تتحدث مع المرأة التي اختارها ابنها. صحيح أن بريدجيت قد أحبت الأولاد الثلاثة الذين نشأوا تحت سقف بيتها، بالتساوي دون تفريق بين أحد منهم، إلا أن رابطة خاصة كانت بينها وبين أنجلو، ابنها الوحيد الذي من لحمها ودمها. فكانت تريد أن تراه سعيداً. كانت تريد أن تطمئن إلى أن هذه الشابة الرقيقة بإمكانها أن تسعده.

«إذن، فأنت تشتغلين مع أنجلو.»

انطلق ذلك الصوت الرقيق بشكل مفاجىء جعل أليسون توشك على أن تجرح اصبعها. فقالت بابتسامة متوترة: «كلا. الوضع بيننا هو أننا نعمل معاً في بناء ملحق السوق. ولكنني أمثل شركة كونراد وولده.»

نهضت بريدجيت تخلي المائدة. كانت القشور التي أمامها ضعفي القشور التي أمام أليسون. وهذا يعني انها غير ماهرة في المطبخ، ولكن ليس أنها غير ملائمة أو راغبة في ذلك. وهذا يعني الكثير.

قالت وهي تضع أمام أليسون المزيد من البطاطا لكي

تبقى هذه معها مدة أطول: «نعم، لقد أخبرني أنجلو بذلك وبأنك أنت الولد في الشركة. ولكنني لم أكن واثقة من أنه سيحضرك إلينا هذه المرة.»

نظرت أليسون إليها بدهشة: «هذه المرة؟»

فأومأت المرأة تقول: «أخذت اطلب من أنجلو أن يحضرك إلينا للعشاء وذلك منذ أخبرني شاد عنك.»

نظرت أليسون إليها بغباء دون أن تفهم شيئاً: «شاد أخبرك عني؟» ماذا يمكن أن يخبرها شاد عنها يا ترى؟

سارت بريدجيت في أنحاء المطبخ، تحرك وتذوق وتضيف شيئاً لهذا القدر، وشيئاً لذاك، باعثة رائحة شهية جعلت لعاب أليسون يسيل وهي تقول: «لقد حدثني بأن أنجلو معجب بفتاة معينة، وعندما سألته عن اسمها.» واستدارت تنظر إلى أليسون بعينين باسمتين. «عند ذلك أخبرني باسمك.»

لم تشأ أليسون أن تدع هذه المرأة البالغة اللطف تنخدع بالوضع بينها وبين أنجلو، فقالت لها: «لا أدري ما الذي أخبروك به، يا سيدة مارينو. ولكنني مكرسة حياتي لشركة أبي كلياً...»

«والدك؟ هل يوافقك على هذا؟»

فتساءلت أليسون عما إذا كان والدها يوافق على كل ما يختص بها. ولكنها قالت: «إنه يتوقع مني هذا.»

«آه، وهل يتوقع منك أيضاً أن تتزوجي عملك؟»

تابعت أليسون تقشير حبة بطاطا في يدها وهي تقول: «أظن ذلك.»

«ستكون حياة موحشة. لقد أنشأ زوجي الشركة وها ان

أنجلو وشاد يديرونها الآن، بينما اقتصر عمله هو على أشغال القرميد في المطابخ والحمامات والأشياء الصغيرة.» وأشارت إلى أرض المطبخ المبلط بقرميد أزرق موشى بأزهار صغيرة بيضاء وذلك بشكل أنيق جميل.

وأخذت حبة البطاطا من يد أليسون وهي تبتسم في عيني الفتاة: «العمل هو شيء جميل جداً، يا عزيزتي، ما دام لا يصبح هو الشيء الوحيد في حياتك. عليك أنت أن تسيطري على العمل لا أن تدعيه يسيطر عليك.» ثم وضعت آخر حبة بطاطا في القدر. «ها قد انتهينا من البطاطا. أخبري أنجلو بأنك ساعدتني جداً.» ولوّحت بيديها الاثنتين لأليسون تشير بذلك إلى أن مهمتها انتهت.

خرجت أليسون من المطبخ لتجد نفسها وجهاً لوجه أمام أنجلو الذي قال لها ضاحكاً: «كنت أبحث عنك.»

لم تصدق ذلك الشعور بالارتياح الذي تملكها لرؤيته. «أخذتني أمك إلى المطبخ لأقشر بطاطا.» ولاحت على شفتيها ابتسامة راضية. كانت تعلم أن هذه أمسية تبعد عن حياتها الحقيقية العديد من السنوات الضوئية. ولكنها أثناء وجودها هنا يمكنها التظاهر بأن هذا جزء من حياتها وليس مجرد انحراف.

فنظر إلى المطبخ قائلاً: «أحقاً؟»

كانت ياقة قميصه مكرشة قليلاً ربما بسبب لعبه مع الأطفال، فأخذت أليسون تسويها بين اصابعها. كان هذا عملاً تافهاً تقوم به، ولكنه زاد من شعورها بالبهجة.

سألته: «لماذا تبدو عليك الدهشة لذلك؟»

«لأن أمي تكره أن يدخل أحد إلى مطبخها أثناء عملها فيه. فهي تقول إنهم يشيعون فيه الفوضى. إنها بسماحها لك بذلك إنما تعبّر عن رضاها عنك.»

إن حب افراد الأسرة لها بهذا الشكل يعني الكثير بالنسبة إليه. صحيح أن شعوره نحو أليسون لن يتغير لو كان العكس، إلا أن ذلك يجعل الأمور أفضل.

«إنها سيدة طيبة جداً.» ربما لو لم تمت أمها لكانت مثلها الآن.

«إننا نراها كذلك، نحن أيضاً.»

وجدت أليسون نفسها تنسجم مع هذه الأسرة. وكان هذا شيئاً غير منطقي. كانت دوماً تشعر بنفسها غريبة شاذة في مجال اظهار عواطف الحنان والمودة. ومع ذلك، فقد وجدت المكان هنا بين أفراد أسرة مارينو، مناسباً تماماً. لم يكن لديها فكرة على الاطلاق عما جعل هذا الشعور لديها ينمو خلال ساعات قليلة. كل ما كانت تعرفه هو انها شعرت بأنها تنتمي إليهم وتحبهم أكثر مما كانت تتصور. عندما دخلت المنزل مع أنجلو، كانت تشعر بنفسها غريبة عن هذا المكان. ولكن مع انتهاء المساء، كانت قد أخذت تستمع إلى الحديث حول المائدة وتضحك وتشترك فيه أحياناً. ووجدت ذلك شيئاً طبيعياً رائعاً تماماً.

لقد اصبحت واحداً منهم، لهذه الليلة على الأقل.

كان أنجلو يراقب انشراحها، مدركاً أنه كان مصيباً باحضارها إلى هنا. لقد كان ثمة شيء ما في شخصية أمه يجعل حولها هالة من المحبة. لم يكن هذا يتعلق بشيء تقوله، وإنما بالطريقة التي تتصرف بها. وتذكر كيف كان

شاد ودوتي، في بداية مجيئهما إلى منزلهم، خائفين منعزلين. وخصوصاً شاد الذي كان عدائياً للغاية لكثرة ما سبق وتحمله من النبذ والرفض. ولكنهما ما أن استقرا في المنزل، وعاشرا بريدجيت وسلفاتور، حتى ابتدآ يخرجان من الانطواء الذاتي الذي كان يتملكهما إلى أن اصبحا كما هما الآن.

كان أنجلو واثقاً من أن جاذبية شخصية أمه ولطفها سيساعد أليسون، كذلك. فهو لا يستطيع القيام بذلك وحده، كما انه لا يشعر بالخجل مطلقاً إزاء حاجته إلى المساعدة، ذلك أن مستقبل ابنائه الذين لم يولدوا بعد، يعتمد على هذا.

• • •

«والآن.» قال أنجلو ذلك باسماً وهو يقف معها أمام باب منزلها. «ها أنت ذي قد نجحت في المواجهة.»

كان يغيظها مازحاً. ولكنها شعرت هذه المرة بالسرور بدلاً من الضيق. فقد كانت شاكرة له. شاكرة لقضائها هذه الأمسية بين مثل هذه العواطف المتبادلة والمحبة غير المعلنة. لقد ساعدها هذا على تحسين فكرتها عن العالم عامة ونفسها خاصة. وما دام هناك أناس مثل أسرة أنجلو في هذا العالم، فالأشياء لا يمكن أن تكون سيئة كلياً.

«شكراً يا أنجلو لهذا الوقت السار الذي أمضيته هذا النهار.»

«أنا الذي عليّ أن أشكرك. ذلك لأن أمي، ولأول مرة، لم تسألني لماذا أنا وحدي.»

ضحكت وهي تتذكر تلك الدقائق التي أمضتها مع أمه في المطبخ، ثم قالت: «أظنها كانت تضع خطة حفلة الزفاف.»

هب النسيم عابثاً بشعرها مغطياً به وجهها، فأزاحه أنجلو عن عينيها برقة فائقة. إنها ستكون له في النهاية، ولكن ليس بالسرعة التي يريدها. وأجاب: «حسناً، هذا ما سيحدث لنا.»

فحولت نظرها جانباً وهي تقول: «أنجلو، لا يمكنني ذلك.»

فوضع يديه على كتفيها وأدارها لتنظر إليه: «هذا ليس بسبب عدم رغبتك بي، أليس كذلك؟»

«كلا، ليس هذا هو السبب.»

قالت ذلك بصراحة أدهشتها. كانت تؤمن بالصدق، ولكنها قبل كل شيء كانت فتاة وحيدة وقد منحت هذه الأمسية كثيراً من الأبواب أمامها ما جعلها ترى ما هو موجود خلف عالمها الصغير حتى لم تعد تريد أن تعود إلى تلك الوحدة ولكن، مع ذلك، لا مناص لها من ذلك.

قالت له: «ليس السبب هو أنني لا أرغب بك، ولكنني سبق وقلت لك مرة إنني غير حرة.»

لم يكن يريد قبول هذا العذر، وسترفضه هي أيضاً يوماً ما. فقال: «إنك حرة بقدر ما تسمحين بذلك لنفسك، يا أليسون. إنك لست حارسة أبيك. إن اكثر ما يدين به الولد لوالديه هو أن يكون شخصاً محترماً، وأن يكون سعيداً.»

تنهدت عابسة: «إنه لا يهتم بما إذا كنت سعيدة. إنه يهتم فقط بما اذا كنت محترمة.»

«آه، إنك محترمة جداً، جداً.»

لشدّ ما تشعر بالأمان بجانبه، وكذلك بأنها محبوبة ولكنها كانت تعلم أن سعادتها هذه قصيرة، وأنهما سرعان ما يفترقان.

لقد انتهى عهد التظاهر والإدعاء. فهي بحاجة إليه. لم يقدّم إليها رجل الحب من قبل قط. ربما هذه الأمسية في ذلك البيت قد جعلها ضعيفة متلهفة. ربما وجودها في ذلك الجو من المحبة جعلها تحن إلى قليل منه لأجل نفسها. وها هوذا أنجلو ما يزال يقول لها إن لديه الحب كله يقدمه إليها.

قالت لاهثة: «إنني أقف معك أمام بيتي كالمراهقات.»

فضحك قائلاً: «كل المراهقات اللاتي عرفتهن لا يساوين ظفرك.»

آه، لشد ما تود أن تصدقه: «إنك دوماً تقول لي هذه الأشياء الحلوة...»

«ولكنني أعني صادقاً كل هذه الأشياء الحلوة. هل تأتين معي إلى الغداء غداً؟»

غداً... إنه عالم مختلف تماماً، ذلك الغد. «غداً سنعود إلى العمل.»

لكنه، وقد رآها كما هي الآن، ضاحكة راضية، لم يشأ أن يدعها تعود إلى ما كانت عليه فقال: «ولكن ليس هناك ما يدعونا إلى التخفي. إن المهندسات مسموح لهن بأن يقعن في الغرام.»

«ولكنني لم أقل إنني مغرمة.»

لكنه كان يعرف، كما تعرف هي، أنها كاذبة، فقال: «لا بأس. إنك إذن معجبة.»

فهزت رأسها ضاحكة: «إنك لا تذعن أبداً، أليس كذلك؟»

«أبداً. فالناس الذين يذعنون لا يفوزون.»

أمعنت النظر في عينيه وهي تتساءل عما دعاه إلى اختيارها من بين غيرها من النساء حتى ولو كان للحظة مؤقتة. أهي بهجة الصيد؟

«لم أكن أظن أن الفوز مهم بالنسبة إليك.»

«هناك أشياء هامة جداً بالنسبة إليّ.»

نظرت حولها وهي تقول: «إذا لم تذهب الآن، فسنبقى واقفين هنا طوال الليل.»

كانا، هما الاثنين، بحاجة إلى النوم. كما أنها بحاجة إلى وقت تفكر فيه.

«إن علينا أن ننهي العمل في الملحق في الوقت المعين.»

فتنهد قائلاً: «نعم، وإلا فالعقوبة.»

قالت: «وما اكبرها من عقوبة.»

قال وهو يتجه إلى سيارته: «يوماً ما، لن يكون لديك ما تخفينه.»

فكرت بحزن وهي تراه يصعد إلى السيارة، عند ذلك سيكون قد رحل.

لكنها لا تريد ان تفكر بذلك الآن. إنها لا تحتمل ذلك.

• • •

بعد أن تم بناء الجناحين، جمعت الشركتان قواهما لبناء الجناح الثالث والأخير. كانت قمة البناء المثلث هي القبة الزمردية التي تضم الأجنحة الثلاثة معاً إلى بقية السوق.

كانت فقرات العقوبات تتساقط واحدة بعد الأخرى، وسقط آخرها بعد أن وجدوا أنفسهم متقدمين على الوقت أسبوعاً كاملاً.

لكن كلما تزايدت سرعة العمل، تباطأ التقدم في علاقة أنجلو بأليسون. لقد كانت تتجنبه، ومع أنه كان يخمن السبب في ذلك، إلا أنه لم يكن يريد أن يجعل التزامها وخوفها، حاجزاً بينهما.

عثر عليها في زاوية صغيرة من الجناح الأخير منكبة على تصميم هندسي تدرسه بإمعان.

«أمي لا تنفك تسألني متى تعودين.»

أجفلت، ثم تنفست بعمق تهدىء بذلك من أعصابها. فقد كانت مستغرقة في العمل بحيث لم تكن تسمع شيئاً، خصوصاً وقع خطواته.

«كنت مشغولة بإدخال تعديل على القبة.» وألقت بالقلم جانباً، ثم طوت التصميم وهي تتابع قائلة: «إن غرايسون هو فنان وعصبي الطبع إلى حد جعل من الصعب مراجعته لتغييره.»

تابعت وهي تتجنب نظراته: «لم يكن لدي وقت حتى للذهاب إلى المنتجع الصحي.»

لكن أنجلو هز رأسه ثم أخذ منها التصميم وألقاه جانباً وهو يقول: «إن أمي لا تحب كلمة مشغولة، وقد اوصتني أن آتي إلى بيتك وآخذك بالقوة إذا استلزم الأمر.»

ضحكت أليسون لهذه الصورة.

«سآتي هذا الأحد، فقد لان غرايسون بالنسبة إلى التصميم. وإلا لما نجح في بناء قبته تلك.»

ربت شخص ما على كتفها، وعندما نظرت رأت جوزيف واقفاً خلفها وقد بدا وجهه أكثر شحوباً من العادة.

«ماذا حدث، يا جوزيف؟ ألم يصل البلور بعد؟»

فأومأ قائلاً: «لقد وصلت آخر شحنة لتوها، وكذلك والدك.»

فحملقت فيه مستفسرة، ولكن لم يكن لديه جواب.

«لم يخبرني أبي بأنه قادم. وهو عموماً لا يأتي إلا بعد اكتمال البناء.» ابتدأ التوجس يتملكها. وأعدت نفسها للآتي.

رأى أنجلو ملامحها تتغير، فسألها: «هل هناك ما يزعج؟»

نهضت واقفة وهي تقرك إبهامها بسبابتها بينما تقول: «ليس هناك ما لا يمكنني معالجته.» لم تكن تريده أن يكون موجوداً عندما يأتي والدها. فهو يزيد الأمور تعقيداً. فقالت له: «لماذا لا تذهب إلى عملك و...»

لكنه لم يشأ أن يتركها وحدها الآن. فقد بقيت مدة طويلة وحدها. فقال: «إنك أنت عملي.»

«أنجلو... أرجوك.»

لم يكن يحب أن يرفض لها طلباً، ولكنه هذه المرة أراد أن يتبع عقله فتمسك بالبقاء. لم يكن ثمة وقت للجدال، فقد رأت أليسون من زاوية عينها، والدها وهو يقترب واثنان من موظفي الشركة على جانبي كرسي العجلات. بدت وكأنها عادت إلى سن الثانية عشرة، شعرت بالكراهية لذلك... بالكراهية لذلك الشعور الذي يتملكها لمجرد حضوره لتفحص الأمور.

تباً لهذا... لماذا هذا الشعور الذي تملكها؟ فالعمل جيد

وهي مزهوة به... مزهوة بعمالها وبما أنجزوه. لكنها كانت تعلم أنه لن يعجب والدها. فهو لا يعجبه شيء ابداً.

أومأ لابنته باختصار: «سوني.» ثم اوقف كرسيه أمامها متجاهلاً انجلو تماماً. وشعرت أليسون بالغضب لذلك. فهذا هو طبعه، ما دام لا يحب أنجلو، فإن أنجلو بالنسبة إليه، لا وجود له.

اقتربت خطوة من أنجلو وهي تقول لأبيها: «إنك لم تخبرني بأنك قادم، يا أبي.»

ضاقت عيناه الزرقاوان الباردتان: «منذ متى علي أن انسق أمر قدومي إلى مكان عملي معك؟»

إنها لن تسمح له بإرهابها هذه المرة على الأخص. «ظننت فقط أن المفروض أن ترسل إليّ تنبيهاً.»

«لماذا؟» وابتعد بكرسيه إلى حيث أخذ ينظر حوله إلى سير العمل، ثم قال: «ما الذي تريدين أن تخفيه؟»

«لا شيء.» حقاً إنه رجل تافه متشكك. إنها الآن تنزع عن عينيها النظارات الوردية لكي ترى والدها على حقيقته الحاضرة والتي ستستمر على الدوام.

«إنني سأداوم على العمل النهار بطوله، فلو كنت نبهتني لخصصت بعض الوقت لأجلك.»

«لا تضخمي الأمور يا سوني. يمكنني رؤية كل شيء بنفسي.» وعاد بالكرسي إلى الخلف لينظر إليها: «لم يعجبني ثمن الأسلاك الكهربائية.»

ذلك أن ثمن الأسلاك قد ازداد بعد تصفية الأمر مع ميلر. فقالت لوالدها: «إنك تعلم أننا نستعمل دوماً أحسن الأنواع.»

قال بخشونة: «لم أقل لك أن تستعملي نوعاً سيئاً، يا سوني وإنما أن تأخذيه بثمن أرخص.»

تساءلت إن كان يستمتع بمعاملتها بهذا الشكل أمام المتفرجين. صحيح أن الرجلين الواقفين بجانبه أخذا ينظران إلى ناحية أخرى اثناء هذه المواجهة، إلا أنهما كانا يسمعان كل شيء ككل الآخرين. فقالت لأبيها: «كان هذا أرخص ما وجدت.»

«عند ميلر وجونز طبعاً. فانت لم تبحثي في أمكنة أبعد أليس كذلك؟» ولأول مرة، يحول نظراته البادرة نحو أنجلو قائلاً وهو يشير إليه بإبهامه: «هل هو الذي أشار عليك به؟»

لم تتغير ملامح أنجلو. ولكن أليسون هي وحدها التي لاحظت توتر فكه وهو يقول: «طاب يومك أنت أيضاً، يا سيد كونراد.»

فعبس كونراد. فهو لم يتعود أن يكون هدفاً للسخرية: «لا أريد من حديث النعمة هذا أن يلوث إسمنا، يا سوني.»

وجد أنجلو أن عليه أن يعض لسانه لكي يمنع نفسه من الرد بحدة. وتملكه السرور لعدم وجود شاد بقربه، ذلك أن شاد لم يكن طبعه بنصف هدوء طبع أنجلو.

قبضت أليسون يديها بجانبها وهي تقول: «ليس للسيد مارينو أي دخل بهذا. لو كنت كلفت نفسك عناء قراءة تقريري لعلمت أنني اتعامل مع ميلر وجونز منذ مدة طويلة. ولكن المشاكل ابتدأت منذ استلم ابن ميلر الشركة.»

«هذا هو الوقت الذي تبدأ فيه المشاكل. عندما يستلم العمل الجيل الثاني.» ورأى كونراد الدم يصعد إلى وجه ابنته. فسألها: «متى ينتهي عملك هنا؟»

«بعد اسبوعين.»

فقال بحدة: «فليكن بعد أسبوع واحد. إن شركة فريد شيريل تريد ان تبني فندقاً جديداً، فاخبرته اننا سنقدم عرضاً للمناقصة إذا اعجبه فسنبدأ حفر الأساسات خلال شهر وسترأسين أنت المشروع.»

سأله أنجلو: «ألا تظن أنها بحاجة إلى عطلة؟»

«أنا الذي أقرر متى تأخذ أليسون عطلة، يا مارينو، وليس أنت. إنها ابنتي.»

فقال أنجلو ببساطة: «يبدو أنها بالعبدة أشبه منها بالإبنة بالنسبة إليك.»

فقالت أليسون بحدة: «أنجلو.» كانت تعلم أن مثل هذا الكلام لن تكون نهايته حسنة.

قال كونراد هازئاً: «يا له من كلام خشن. ما كنت لتتحدث إليّ بهذا الشكل لو لم أكن على كرسي بعجلات.»

فقال أنجلو: «هذا صحيح. فلو لم تكن على هذا الكرسي لضربتك وألقيت بك أرضاً.»

فصرخت أليسون مرة أخرى: «أنجلو.» ما الذي حدث لهذا الرجل، يا ترى؟

أحمر وجه كونراد غضباً، وقال لابنته بحدة: «سأراك أثناء العشاء.» ثم استدار منطلقاً بكرسيه بأقصى سرعة، بينما أسرع الرجلان خلفه بصمت.

حدقت أليسون إلى أنجلو: «كيف تقول له ذلك؟»

فكان جوابه بسيطاً: «لأنه يعاملك بقذارة، كنت على وشك الهجوم عليه وخنقه...»

«لكنه أبي.»

«أعلم ذلك. اعلم.» وسكت برهة محاولاً تمالك نفسه، ثم عاد يقول: «أما كان الأفضل لو أنني عصرته قليلاً؟»

ضحكت واغمضت عينيها وقد ذهب توترها: «يا لك من رجل صعب.»

«نعم، ولكنني ملكك فما الذي ستفعلينه إزاء ذلك؟»

لقد تلاشى الآن كل ادعاء. فتنهدت قائلة: «لا أظن بإمكاني القيام بشيء سوى الشكر.»

فقال ضاحكاً: «إنك تتعلمين. لقد استغرق ذلك بعض الوقت، ولكنك تتعلمين.»

الفصل الثاني عشر

دخل أدريان وولترز إلى وسط الملحق الجديد. كانت الساحات الزمردية تتراقص وتتألق بالألوان الخضراء الفاتحة والمشمشية للقرميد الذي يبلط الأرض، وكذلك الدعامات التي كانت تتوهج في الأنوار المنسابة من القبة المشيدة حديثاً، كان سروره واضحاً وكان أنجلو وشاد وأليسون يجولون في أنحاء المكان.

قال الرجل يخاطبهم: «حسناً، لا بد لي من القول إنه معجب جداً. فهو يبدو رائع الجمال، كما أنه انتهى قبل الوقت المعيّن.» وابتسم فكانت أليسون ترى خيال الدولار يتراقص في ذهنه، وتابع هو يقول: «سنقيم احتفالاً خاصاً بافتتاح هذا الملحق يوم الجمعة القادم، وأنتم ستأتون طبعاً؟»

فقالت أليسون مترددة: «حسناً، أنا...» لم تكن تحب المناسبات الرسمية، فقد كانت تشعر فيها بالتوتر، ولكن أنجلو سارع يجيب عنهم جميعاً: «طبعاً.» ونظر إلى جماعة من العمال ينظفون المكان. كان عملاً شاقاً طويل المدى ولكن النتيجة كانت تستحق ذلك، وقد حققوا تعهدهم في إنهائه حسب الوقت المعين وتبعاً للمنهاج. وهذا يعني أن هناك هبات ستقدم لهم، ولكن أنجلو كان يريد لهم شيئاً أكثر من ذلك... شيئاً من طراز آخر فقال مخاطباً وولترز وهو يشير إلى خلفه: «هل هنالك شيء لأجلهم؟»

نظر وولترز من فوق إطار نظارتيه إلى خلف أنجلو. أدرك أنجلو أن وولترز لم يرهم بصفتهم عمال بناء، وإنما رأى فيهم زبائن المستقبل الذين سيترددون على هذا المركز، وبالتالي لن يستطيع نبذهم، فأجاب: «طبعاً.»

فنظر أنجلو إلى أليسون، قائلاً: «لا يمكنك أن تقولي كلا لهذا الأمر، أليس كذلك؟»

كلا، لا يمكنها ذلك، ذلك أنها اكتشفت خلال الأسابيع الماضية، أن ليس بإمكانها أن تقول كلا لأي شيء يطلبه أنجلو منها، لقد جلب البهجة والدفء إلى حياتها مع أول باقة من أزهار لا تنسني، فهي لن تنساه أبداً. إنها تدرك الآن كما لم تدرك قط من قبل، أن عالمها كان مكوّناً من مجرد بناء وتجهيزات... ومن أبنية بإمكانها أن تشير إليها مزهوة، ولكنها لم تنشىء شيئاً لأجل حياتها. وكان هو على صواب عندما قال لها هذا.

كان أنجلو على صواب بالنسبة لأشياء كثيرة، أخذت تفكر في ذلك وهي تتابع التجوال مع وولترز مشيرة إلى مختلف التصميمات هنا وهناك، كان هذا الجناح ناحيتها من السوق الجديد، وكانت مزهوة به للغاية.

ولكن، مع ذلك، كل شيء بدا لها فارغاً. وأخذ هذا الفراغ يزداد مع اقتراب يوم الجمعة.

في الوقت الذي وصلت فيه أليسون إلى السوق، حيث مكان الاحتفال، مساء الجمعة، كان الشعور الساحق بالفراغ قد أنهكها، فقد انتهى كل شيء، هذا المشروع قد انتهى، وهناك عمل آخر ينتظرها الاثنين القادم، وسرعان ما تستقل الطائرة إلى ألبوكيرك لتقف في جوّ تتجاوز حرارته

على المألوف لتشرف على بناء فندق فخم يحمل اسم شيريل.

أما أنجلو فسيكون هنا، يتناول عشاء الأحد مع فتاة أخرى تجلس على الكرسي التي بجانبه... كرسيها هي.

شقت أليسون طريقها إلى مركز قصر الزمرد، محاولة أن تخفي ما تنطق به عيناها من تعاسة. كانت الموسيقى الحالمة التي تتجاوب أنغامها في أنحاء المكان تزيد من توتر حالتها النفسية. لم يسبق أن تملكها مثل هذا الشعور في نهاية إنجاز قامت به، لقد اعتادت أن تكون متلهفة للاستمرار... للابتداء في عمل جديد. أما هذه المرة فلم يكن هناك سوى الحزن، لم تكن تريد أن تنتهي منه.

«يقول المثل خذ قرشاً مقابل أن تخبرني بما تفكر فيه ولكن بالنسبة لما يبدو على وجهك، أظن أن عليّ أن آخذ قرضاً من المصرف.»

استدارت وهي تسمع صوت أنجلو، ثم وقفت مذهولة: «أنجلو؟»

كان يقف مفتوناً بمظهرها، كانت ترتدي ثوباً أبيض بسيطاً، وقد تزينت بمجوهرات حول عنقها وفي أذنيها كانت تتألق تحت الأنوار. وبدت له غاية في الروعة والمهابة.

فقال: «نعم، إنه أنا.»

فأخذت تشمله بنظراتها معجبة: «تبدو رائعاً.»

«يمكنني أن أرد المجاملة، ولكنني أشعر بأنك أجمل، في نظري، بالبنطلون وقميص العمل.»

كان يرتدي بذلة السهرة، ولم تكن تتصور أنه على هذا

القدر من الوسامة التي تخطف الأنفاس. فملامحه الخشنة كما كانت تبدو في ورشة العمل، تبدو هنا وكأنها أصبحت على شيء من الرقة تحت الأضواء هذه، ما ذكرها بشبل أسد يسير بكبرياء.

قال لها: «لم أعد أستطيع الصبر، يا أليسون. ما قولك في أن نتصرف في هذا الشأن في أقرب وقت؟»

لكنها كانت تعلم أن هذا ليس في إمكانها، فقد اختارت لنفسها وهي مرتبطة بهذا الخيار. تلاشت الابتسامة عن شفتيها وهي تقول: «عليّ أن أكون في ألبوكيرك يوم الاثنين.»

«كلا، لست مضطرة إلى ذلك. يمكنهم أن يبدأوا العمل من دونك، أو أن بإمكان والدك أن يرسل شخصاً آخر في مكانك.» لقد كان بحث في أمور شركة كونراد وولده ووجد أن هناك عدة مهندسين مرتبطين بالشركة ما يمكنهم من استلام المشروع لفترة.

لكن أليسون أجابت: «إنه يريدني أن أكون هناك بنفسي.»

وهنا توقف أمامهما نادل يرتدي ملابس زمردية لتلائم ألوان المكان، وهو يحمل صينية عليها مختلف أنواع المرطبات، فتناول أنجلو كوبين ناول أليسون إحداهما وهو يقول: «أريدك أن تبقي هنا.»

فابتسمت بحزن، وكان الضوء الآتي من القبة قد انعكس في الشراب، فأخذت تحدق إليه وهي تميل الكوب، هل هذا ما حصلت عليه؟ ومضة من ضياء أنارت حياتها لحظة؟ ومضة سرعان ما ستتلاشى كما ابتدأت.

سألته: «إلى متى؟»

إلى غد، أو إلى ما بعد الأسبوع... مهما كانت المدة فهي ستنتهي أخيراً، وسيكون لديها ذكرياتها بقية حياتها والأسف على ما لم يعد لديها. إنها بحاجة للعمل لتعيش. كما أنه دوماً يشغلها عن آلامها.

أجابها: «أظننا حسمنا هذا الأمر منذ البداية.»

«ما الذي تتحدث عنه؟»

«كنا نتحدث عن طول المدة التي أريدك فيها، فانتبهي إلى الحديث.» وأخذ رشفة من الكوب وهو يمعن النظر في وجهها: «الرجل لا يطلب من امرأة أن تكون أم أولاده ليلقي بها بعد ذلك كمنديل من ورق.»

كلا، إنها لن تدع نفسها تصدق أنه كان جاداً في كلامه، إنها تريد أن تجد أنه كان يمزح، فقالت: «ظننتك مجنوناً حينذاك.»

«ربما، ولكن هذا لا يغير ما كنت قلته.»

«إذن، فقد كنت جاداً في ذلك الحين.»

«في ذلك الحين، والآن.»

قالت وكأنها تحفظ جملة من لغة أجنبية: «إنك تريد أن تتزوجني.»

لم يطلب منها أحد قط الزواج من قبل. ذلك أنها لم تتخذ أصدقاء بحيث تجد بينهم من يعرض عليها ذلك، وأخافتها هذه الفكرة... ولكنها مع ذلك... مع ذلك لم يكن هناك ما تريده أكثر من هذا.

نظر في عينيها، وشعرت وهي ترى الحب يتدفق من نظراته بأنها تريد أن تبكي.

قال: «الزواج يعني أن يكرس كل من الزوجين حياته للآخر. الزواج يعني عدم الهرب إذا وقع أحدهما في مصيبة فاحتاج إلى من يساعده. إنه يعني أن يضحكا معاً لأشياء لا يفهمها سواهما. إنه يعني أنه عندما يضطرب العالم من حولك، فهناك من يسندك ويطمئنك. إنه يعني...» وسكت إذ رأى الدموع في عينيها.

«هل تبكين؟»

فهزت رأسها نفياً: «هنالك شيء في الجو.»

كان يعلم أن ليس هذا هو السب، ولكنه قال يجاريها: «قد تكون هذه رائحة محلول الكولونيا الذي استعمله، سأغيره.»

كيف أمكن أن تكون من حسن الحظ بحيث تجد رجلاً مثله؟ رجلاً بقي يدور حولها رغم كل محاولاتها لصده، وذلك بسبب خوفها من أن ينبذها فيما بعد، وشعورها بالذنب لتخليها عن مسؤولياتها، كل ذلك كان يقف بينهما. ولكنه لم يتزحزح من مكانه.

قالت له ضاحكة: «يا لك من أبله.»

فأجاب وهو يبتسم لها: «هذه هي الصفة التي عليك أن تتحمليها.»

«هل تريد حقاً أن تتزوجني؟»

فنظر في عينيها بإمعان: «إنك لست سريعة الفهم، أليس كذلك؟» أخذت تضحك رغم الدموع التي كانت تنهمر من عينيها، فقال: «لا بأس، إن معدّل الذكاء غير مطلوب في هذه الحالة. المطلوب الكثير من الحب فقط. هل تحبينني؟»

«إنك تعلم بأنني أحبك.»

كان يعلم هذا في أعماقه، ولكنه كان بحاجة إلى أن

يسمع الكلمات. كل شخص بحاجة إلى أن يسمعها، فقال: «كلا، إنك لم تقولي ذلك قط، وهذا أمر اجباري، أريد ذلك منك يا أليسون ولو مرة واحدة يومياً، وبالمقابل، أعدك بأن أحبك إلى الأبد.»

فهمست: «أحبك.» وكان شعورها رائعاً وهي تتلفظ بهذه الكلمة.

وفي الناحية المقابلة كان شاد واقفاً ينظر إلى أخيه وأليسون، وكان وولترز يناوله كوب عصير وهو يقول: «لقد بنيت ملحقاً رائعاً، يا سيد ماكليلان، أنت والآخران.»

فألقى شاد بنظراته نحو أنجلو وأليسون واللذين كانا غافلين تماماً عن العالم بأجمعه وابتسم وهو يراهما في أتم انسجام.

* * *

أراد أنجلو أن يأتي معها، ولكن أليسون رفضت ذلك. كانت تريد أن تخبر والدها بنفسها بأنها ستتزوج، لكي لا يتعرض أنجلو لأيّ شيء قد يقوله والدها، فقد كانت تعلم أن المشهد لن يكون ساراً، ولكنها كانت تأمل في أن لا يرفض والدها بشكل قاطع.

لم يكن والدها قد جاء إلى الحفلة. ذلك أنه منذ أصبح يتحرك على كرسي العجلات لم يعد يهتم بمثل تلك الأمور بل صب كل اهتمامه على عمله.

عندما دخلت عليه الساعة الحادية عشرة، وجدته في مكتبه يعالج الأرقام. فكرت في أن تذهب للنوم على أن تخبره عند الصباح، ولكنها عادت فرأت أنها كانت أنكرت

حياتها لأجله... وذلك في سبيل حفظ السلام بينهما واتقاء لثورات غضبه. وأنها قامت بذلك لفترة طويلة دون أي مقابل منه.

وهكذا توجهت إلى مكتبه رأساً، وكالعادة، عندما دخلت عليه لم يرفع رأسه عما كان بين يديه، كانت عمله يأتي أولاً، دائماً. ولكن هذا لم يعد يهمها بعد الآن. فهناك شخص آخر يمنحها الحب الذي هي بحاجة إليه وذلك دون أي شرط.

ابتدأت دون تحية ولا مقدمات: «عليك أن تجد شخصاً آخر ليذهب إلى ألبوكيرك، يا أبي.»

عند ذلك رفع بصره إليها وقد بان عليه الانزعاج لمقاطعتها له أثناء العمل، وأجابها: «ليس الأمر هو أنه ليس بالإمكان الاستغناء عنك، وإنما لأنه حالياً، لا يوجد شخص آخر.» قال ذلك وعاد إلى عمله.

نظرت إليه، إنه لا يملك حتى القليل من الدماثة وحسن الخلق بحيث يسألها عن السبب الذي دفعها إلى مثل هذا القول. لم يكن هناك سوى اوامره ولا شيء آخر. وأخذت تفكر في أنها أعطته كل شيء، فلم تجد لديه حتى ذرة من محبة يمنحها لها.

«إذن، فعليك أن تذهب بنفسك، بعد العرس.»

فوقع القلم من يده ونظر إليها غير مصدق.

«أيّ عرس؟»

«عرسي أنا.» فقرأت على ملامحه أن لا شيء سبق وقالته قد أدهشه أكثر مما قالته الآن، أتراه لم يكن يظن أن أحداً قد يحبها، لا لشيء إلا لأنه هو لا يحبها؟

دفع بكرسيه بعيداً عن المكتب، ثم استدار بها حتى أصبح أمام ابنته: «أتتزوجين ذلك الوقح الذي تعرفت إليه في ورشة البناء؟ إنه الطراز الذي يعجبك إذن.»

«إنه ليس وقحاً، يا أبي، بل هو رجل رائع محب.»

كانت ضحكته حاقدة وهو يقول: «ومن لا يعجبه التقرب بالزواج إلى هذه الشركة.»

تلك كانت طريقته في التفكير، فهو لا يفكر في الحب بل في الربح المادي، فهو لا يفهم ما يعني أن يحب أحداً.

فقالت له بزهو: «إن له شركة خاصة به.»

فقال باحتقار: «إنني لم أر اسمها مدوّناً في مجلة المقاولات.»

كل تلك السنوات التي أمضتها سجينة مشاعرها نحوه، نهضت الآن تواجهها. لماذا لا يتمنى لها الخير ولو مرة واحد في حياته؟ ألا يمكن له أن يفكر في سعادتها بدلاً من العمل؟ وقالت تجيبه: «هنالك الكثير من الأشياء غير مدوّنة في المجلة، يا أبي، مثل كيف يكون لك قلب.»

فادار لها ظهره، وحاول أن يتوجه نحو المكتب وهو يقول: «إنك مصابة بنوبة عصبية.»

فوقفت أمام كرسي العجلات تسد عليه الطريق: «كلا، بل أنا أفكر بوضوح وذلك لأول مرة في حياتي.» ثم استجمعت شجاعتها وجازفت بتلقي رفض آخر وهي تقول: «أريدك أن تكون موجوداً أثناء العرس لتسلمني للعريس حسب التقاليد المتعارفة، أو على الأقل، تكون موجوداً.» وإذ رأت الجواب في عينيه، تنحّت جانباً لكي يمرّ، إنه لا يريد القدوم إلى العرس.

فتابعت تقول: «من المفروض أن تكون مهمة تسليمي إلى عريسي سهلة عليك يا أبي، ذلك لأنك لم تحبني قط.» ورغم أنها كانت تعلم ذلك في أعماقها، إلا أن تلفظها بهذه الكلمات بصوت عال، جعلها تشعر بالألم.

«لقد علّمتك هذا العمل.»

«هذا بعد أن أرغمتك أنا على ذلك، ولم أفعل ذلك إلا لأنني أردتك أن تلحظني، تلهفت إليه لأنني أردت أن أفعل أي شيء، أكون أي شيء، فقط لأصبح جزءاً منك. لأجعلك تهتم بي.» ومرت بأصابعها خلال شعرها المكوّم على رأسها بطراز فرنسي، فتساقطت الدبابيس على السجادة الشرقية، فتركتها حيث هي بعد أن تقبلت أخيراً حقيقة أنه لن تكون بينهما أية علاقة أو عاطفة من ناحيته، وتابعت تقول: «ولكنك دوماً كنت مشغولاً عن الاهتمام بي، والآن إما أن تأتي إلى العرس وتكون أبي، وإما أن تبقى حيث أنت لكي تصبح في النهاية عجوزاً تكتنفه الوحدة والمرارة، فالخيار هو لك، أما أنا فقد صنعت قراري.»

«إنك ستندمين.»

«كلا، فقد كنت آسفة على الدوام... آسفة طوال تلك السنوات التي لم أستطع فيها أن أرضيك، لم أتمكن من أن أكون كما تريد، وقد وجدت الآن من يهتم بي ولن أدعه يرحل، لقد كدت أطرده فعلاً لأجلك، ولكنني لن أعود إلى هذا التفكير بعد الآن.»

رأته يهتز لهذه الكلمات. فهو لم يتعامل مع المشاعر من قبل، وساورها الأسى إذ تجد أن سعادتها تبعث له الضيق.

قال: «سواء تزوجت ذلك المعتوه أم لا، فأنا لا أريد أن أكون عرضة لسوء تهذيبه.»

دون أن تنطق بكلمة أخرى، استدارت أليسون على عقبيها وخرجت من الغرفة.

وليمنعها مايلز من الرحيل، ألقى إليها بالتهديد الوحيد الذي يعرفه: «ولكن إذا أنت تزوجته، فأنت مطرودة من الشركة.»

لم تعبأ بالإلتفات إليه وهي تقول: «إن خسارتك يا أبي ستكون أكبر من خسارتي.» وأسرعت بالخروج لا تريده أن يرى دموعها.

• • •

لم تشأ أليسون أن يراها أنجلو، أيضاً، تبكي ولكنه رآها، ذلك أنه عندما لم تخابره هاتفياً، ذهب إلى بيتها بعد ذلك بنصف ساعة، حيث أخبرته إدنا أن أليسون تجادلت مع أبيها ثم غادرت المنزل.

كان المنتجع الصحي مغلقاً، وهكذا ذهب أنجلو إلى السوق يبحث عنها ولكن الحارس أخبره بأنه لم يرها تعود بعد أن خرج الجميع، وفي النهاية قرر أنجلو أن يحاول البحث عنها في مكتبها حتى ولو كان الوقت منتصف الليل.

وهناك وجدها جالسة إلى مكتبها تنظر من النافذة ودموعها تنهمر على وجنتيها تحمل آلامها التي طال كبتها.

التفتت وهي تسمع صوت قدومه، متوقعة أن ترى الحارس الليلي، وعندما رأت أنجلو واقفاً عند العتبة،

مسحت دموعها بسرعة بقفا يدها وهي تقول: «ما الذي أتى بك إلى هنا؟»

فدخل متقدماً نحوها وعيناه على وجهها المبلل بالدموع وقال: «جئت أبحث عنك.»

«ولكن البناية مقفلة، فكيف دخلت؟»

جلس على زاوية المكتب، ألم تدرك بعد أن لا شيء يقف في طريقه عندما ينوي الوصول إليها: «تحدثت مع الحارس أسفل حيث أخبرته أننا، أنا وأنت، قد تشاجرنا وهكذا سمح لي بالدخول، إنه يؤمن بالحب.»

فهزت رأسها غير مصدقة، بينما ابتسم لها قائلاً وهو ينظر إليها في ثوبها الأبيض الذي ما زالت ترتديه: «لقد تحدثت إلى إدنا، أتريدين أن تغيري رأيك بالنسبة إلى العرس؟»

رأت العطف في وجهه، فهزت رأسها بغضب: «لن أفعل ذلك أبداً.»

فتنفس الصعداء، فقد كان تملكه القلق. والآن بعد أن تقرر ذلك، لاحظ أنها تفرغ أدراجها، فأشار إلى صندوق مليء بالكتب، يسألها: «ما هذا كله؟»

فابتسمت بضعف قائلة: «إنني آخذ أشيائي فقد طردني أبي من الشركة.»

كان هذا فوق ما يستطيع فهمه، فسألها: «يطرد ابنته؟»

«إنني لست ابنته، فالأب لديه مشاعر نحو ابنته، وما أنا سوى امرأة لها نفس اسم أسرته. إنني لا أعدو أن أكون موضعاً للتنفيس عن مشاعره عندما يغضب.»

«اسمعي، إن أمامنا وقتاً وافياً، فإذا كنت تشعرين بأن

ذهابك إلى ألبوكيرك لأجله قد يجعله يلين، يمكننا أن نلغي العرس.» لم يكن يريدها مطلقاً أن تندم فيما بعد على شيء تقوم به.

لكنها هزت رأسها. فما دامت وافقت فهي تريد للأمر أن يتم بأسرع ما يمكن، فقالت: «لقد انتظرت هذه الساعة منذ تسعة وعشرين عاماً، فأنا أريد أن أتزوجك بأسرع ما يمكن، يا أنجلو، تاركة كل شيء آخر خلف ظهري.»

أطال أنجلو النظر إليها. رغم كل حبه لها، إلا أنه كان يعلم أنها لن تكون سعيدة بهذه الطريقة، خصوصاً وثمة أشياء ما زالت معلقة.

• • •

بعد ذلك بساعة، وبعد أن ترك أنجلو أليسون آمنة في منزل دوتي، قاد سيارته نحو منزل كونراد. كانت الساعة الثانية صباحاً تقريباً، ولكنه لم يهتم لذلك فظل يقرع جرس الباب إلى أن فتحته له إدنا.

وقفت أمامه تدير أطراف معطفها المنزلي حولها، وقد بان أثر النوم في عينيها. وكانت الدهشة تكسو ملامحها.

«إدنا، إنني أعلم أن الوقت متأخر، ولكنني مضطر إلى التحدث مع السيد كونراد.»

«هل حدث شيء؟ هل هي بخير؟» وكانت إدنا قد أفضت إلى أنجلو في المرة السابقة بقلقها على أليسون قائلة إنها لم ترَ أليسون بهذا الشكل قط من قبل.

وضع يده على ذراعها مواسياً، على الأقل هناك من يحب أليسون في هذا البيت، وقال لها: «إنها بأتم خير لقد أخذتها

إلى منزل أختي، ونحن سنتزوج الأسبوع القادم.» وابتسم لها: «وهي تدعوك إلى حضور عرسها.»

ففتحت إبنا الباب له على مصراعيه تدعوه إلى الدخول وهي تقول: «لا شيء يمكن أن يمنعني من ذلك.» ثم استدارت تقوده إلى غرفة كونراد قائلة: «من هنا، من فضلك.»

لم يكن مايلز كونراد نائماً. وكانت أنغام موسيقى موزارت تملأ جوّ الغرفة.

قالت له إبنا وهي توصله إلى باب الغرفة: «إنه يدير الموسيقى حين لا يستطيع النوم، بعد أن تزعجه افكاره، كما أظن، وإن كان كلها من صنع يديه.» ثم تنحت جانباً وتمتمت وهي تربت على كتفه: «حظاً سعيداً.» ثم تركته.

طرق أنجلو الباب مرة واحدة، ثم أدار الأكرة ودخل دون أن ينتظر اذناً.

نظر كونراد من فوق سريره، مجفلاً، وسقط من يده ضابط الصوت على اللحاف. «أي مصيبة قذفت بك إلى هنا؟»

«أريد أن أتحدث إليك.»

فصرخ مايلز بصوت عالٍ: «إبنا.» وعندما جاءت هذه، قال لها: «استدعي الشرطة، أريده أن يخرج من بيتي.»

فهزت إبنا رأسها: «آسفة، يا سيد كونراد إنني مصابة ببرد وأريد أن أذهب إلى فراشي.»

قالت ذلك وخرجت مغلقة الباب خلفها.

كانت الكراهية التي رآها أنجلو في عيني كونراد من القوة بحيث شعر بأنه يكاد يلمسها باليد، كانت كجدار لا يستطيع اختراقه. ولكن عليه أن يحاول لأجل أليسون.

رفع كونراد من صوت الموسيقى، يريد بذلك تجاهله،

ولكن أنجلو أخذ من يده ضابط الصوت وأقفل الجهاز وهو يقول: «لن أطيل الكلام.»

فشبك كونراد ذراعيه فوق صدره وهو يقول: «اختصر.»

«إنك تعني بقدر الاهتمام الذي أسبغته أنت على أليسون.»

فرفع كونراد رأسه بعنف: «إن علاقتي بابنتي ليست من شأنك.»

«بل هي من شأني، إنني سأتزوجها وأرى إن كنت سأتمكن من انقاذ هذه الفتاة الحلوة التي حاولت أنت أن تحطمها طوال هذه السنوات.»

كان غضب كونراد دوماً يجعل الذين حوله ينكمشون خوفاً، ولكن أنجلو لم ينزعج وهذا يصيح به غضباً: «كيف تجرؤ على هذا الكلام؟»

سمّره بنظرة قاسية ثم قال: «والآن، لا أدري السبب في رغبتها في حضورك عرسها بينما أنت قلبت حياتها رأساً على عقب.»

«أنا لا أحضر الكوارث.»

«ولكنك جعلت من حياتك نفسها كارثة، أليس كذلك؟»

فاحمر وجه كونراد غضباً: «لقد جعلت حياتي ناجحة.»

كاد أنجلو يضحك عجباً: «هل تعتبر ذلك النجاح هو إلقاؤك جانباً الشيء الوحيد المهم الذي أنجزته؟»

فقال كونراد هازئاً: «يا لها من فلسفة من عامل بناء.»

إذا كان يريد بهذا القول الحط من شأن أنجلو، فقد خاب أمله. فقد كان أنجلو من قوة الشخصية بحيث لم يكن يهزها رأي مايلز فيه، فقال: «أن يكون للمرء قلب، يا سيد كونراد،

هو أمر لا يحتاج إلى فلسفة. اسمع، إن وجودك في العرس هو أمر يهم أليسون جداً، وأنا أريدها أن تكون سعيدة. أفلا يمكنك أن تتناسى أنانيتك الحقيرة ولو ليوم واحد لأجل أليسون؟ لقد كانت كرّست لك حياتها بأجمعها، أفلا تستطيع تكريس ساعة واحدة لها؟»

كان كمن يتحدث إلى جدار، فكبح أنجلو شتيمة وألقى إلى كونراد بضابط الصوت ثم غادر الغرفة.

أما كونراد فقد رفع صوت الموسيقى إلى أعلى مداه، ولكن ذلك لم يفلح في إخماد صدى كلمات أنجلو في رأسه.

الفصل الثالث عشر

كانت الغرفة التي كانت العروس ترتدي فيها ملابسها مزدحمة بالحاضرين بحيث لم تكد أليسون، تستطيع التحرك فيها، كان الأمر مرهقاً بالنسبة اليها، إذ بعد ان أمضت حياتها وحيدة، إذا بها تجد فجأة أربعة أزواج من الأيدي تمتد لمساعدتها.

«كيف حالك؟»

ألقت عليها دوتي هذا السؤال وهي تفتح الحقيبة وتخرج منها ثوب العرس الطويل المصنوع من الشيفون، فتناولته بريدجيت وأخذت تعده بكل عناية.

أجابت أليسون: «المفروض ان اسألك أنا هذا السؤال.»

«ماذا؟» ورأتها دوتي تنظر إلى بطنها، فقالت: «آه أتعنين الحمل؟» ورغم انه لم يكن يبدو على بطنها أي من علائم الحمل، الا انها كانت دوماً تضع يدها على بطنها تحميها، وقالت ضاحكة: «بعد ان انتهيت من فترة الوحام، لم يعد همي سوى الطعام.» وتنحت عن طريق جاني التي كانت متوجهة إلى أليسون، وهي تتابع قائلة: «وهكذا تريننني متلهفة إلى وليمة العرس.»

نظرت جاني إلى ساعتها: «إذا لم تكن العروس جاهزة في الوقت المناسب فلن تكون هناك وليمة.»

فقالت أليسون: «انني جاهزة.» واخذت تفكر في انجلو

ومراعاته لمشاعرها، بينما تمتمت جاني وهي تفتح علبة الكحل: «أنا اعلم ان انجلو لا يهمه ما ترتدين، ولكن الناس يريدون ان يروا عروساً حقيقية. هيا دعيني اضع الزينة على وجهك.»

فضحكت أليسون وقالت وهي تمد يدها إلى العلبة: «يمكنني ان اضع زينتي بنفسي.»

أمسكت جاني بالعلبة بعيداً عنها وهي تقول: «ليس هنا عروس تستطيع ان تضع زينتها بنفسها يوم عرسها، وهذه حقيقة علمية.» وأجلست أليسون على الكرسي الوحيد في الغرفة، وهي تتابع قائلة: «ذلك ان يد العروس ترتجف.» وبخفة مست جاني كل جفن بأثر من اللون الأزرق، وما ان ابتدأت تضع الماسكارا حتى قرع الباب وعندما التفتت أليسون صرخت جاني بها محذرة: «لا تتحركي.» بينما تقدمت بريدجيت إلى الباب تسأل: «من هذا؟»

«انا انجلو.»

ففتحته موارباً وقالت له: «انك تعرف ان رؤية العريس لعروسه قبل العرس هو شؤم.»

فنظر انجلو إلى الكلب الدانماركي الضخم بجانبه، وكانت دوتي قد اعتنت بالكلب ووضعت حول عنقه ربطة ضخمة بيضاء اللون لتتلاءم مع ثوب العروس.

وسأل انجلو أمه: «حتى ولو كان العريس يمسك بكلب العروس؟»

ففتحت بريدجيت الباب قليلاً وخرجت منه، لقد رقّ قلبها لرؤية ابنها، كم تمنت لو ان زوجها سلفاتور مازال حياً ليشاركها فرحتها به، نظرت إلى الكلب وقالت محاولة ان

تبدو رزينة: «الكلب بجانب العروس؟ من حسن حظك ان الذي سيعقد مراسم الزواج رجل متساهل.»

فقال لها: «انه لن يخالف لك أمراً إذا انت طلبت ذلك منه، هذا إلى انه لولا هذا الكلب لما تحققت أمنيتك في تزويجي.»

ربتت على رأس الكلب وهي تقول: «خذه إلى شاد وتحقق منه ان ما يزال خاتم الزواج بجيبه، لقد انتظرت هذا اليوم اكثر من ثلاثين عاماً، فأنا لا أريد ان يفسده شيء.»

فقبل انجلو يدها قائلاً: «لشد ما احبك، يا أمي.»

ابتسمت وهي تغالب دموعها: «اعلم ذلك فاذهب، إذهب.»

فذهب يبحث عن شاد ومقود الكلب في يده، كان يريد ان يختلس نظرة إلى أليسون قبل العرس، فقط ليطمئن إلى انها موجودة وستصبح عروسه حقاً.

وجد شاد وفرانكي وشيا يتسكعون حول قاعة الزفاف. فأحاط شاد كتفي أخيه العريضتين يسأله: «أتريد سنداً من أحد؟»

فقال انجلو ضاحكاً وهو يناوله مقود الكلب: «أبداً، فأنا بحسن حال.»

نظر اليه شيا متشككاً، ذلك انه رغم حبه الكبير لدوتي، لم يستطع ان يتجنب ذلك التوتر الذي تملكه قبل الزفاف، فقال له: «مد يدك.» وعندما مد انجلو يده، اخذ شيا يتفحصها بإمعان ثم قال وقد تملكته الدهشة: «ليس هناك أي ارتجاف.»

فدّس انجلو يده في جيبه وهو يقول: «قلت لك انني لست متوتراً.» وكان هذا صحيحاً، فهو لم يكن قط في حياته

هادئاً كما هو الآن، الشيء الوحيد الذي كان يقلقه هوان يحدث شيء يفسد عليه زواجه.

نظر انجلو إلى شاد، متذكراً وصية أمه، وسأله: «هل الخاتم معك؟»

فأخرجه شاد من جيبه وهو يقول: «لقد جعلتني جاني اتفقده ثلاث مرات قبل الخروج من البيت.»

وتقدم فرانكي يقول: «عمي انجلو.»

التفت انجلو مبتسماً لابن أخيه وهو يبدو في بذلته الرمادية أقرب إلى رجل منه إلى صبي، وأجابه: «نعم.»

«إذا لم تكن متوتراً، فلماذا لا تنفك تنظر إلى الباب؟» وأومأ إلى باب قاعة الزفاف. لم يكن انجلو يظن ذلك ظاهراً عليه إلى هذا الحد. وفي الحقيقة كان يتوقع ان كونراد قد يغير رأيه في آخر لحظة فيحضر، ذلك ان انجلو متفائل على الدوام. فقال يجيبه: «انني اتوقع حضور شخص ما.» وتبادل النظرات مع شيًا الذي هز رأسه ببطء، قائلاً: «لا يبدو انه سيحضر.»

فسأله فرانكي: «هل هو شخص هام؟»

«هام بالنسبة لأليسون.»

وتمنى لو يكتم انفاس ذلك العجوز، ولكن هذا ما كان ليرضي أليسون، وعاهد نفسه على ان يعوضها عن أبيها، وذلك بأن لا يجعلها تندم على زواجها منه أبداً.

• • •

إرتدت أليسون ثوب العرس بمساعدة جاني ودوتي،

شعرت وكأنها في حلم. فقد كانت قماشة الثوب ناعمة هفهافة تتطاير حولها كالغيمة، ولم تستطع ان تفهم كيف استطاعت هاته النسوة ان يجهزن كل شيء بهذه السرعة.

كان ذلك بتقسيم العمل بينهن. فقد تولت دوتي أمر الملابس، وجاني تنظيم قاعة الزفاف والدعوات، وبريدجيت أمر الطعام. كانت أسرة يعرف افرادها كيف يتعاونون معاً لأجل هدف مشترك، وهي ستكون جزءاً من هذه الأسرة، ولم تستطع ان تصدق ان هذا يحدث حقاً.

«يا ليتك اشتريت ثوباً بسحاب بدلاً من ألف زر صغير كهذه.»

اخذت دوتي تتمتم بذلك وهي تزرر ثوب أليسون من الخلف.

وعندما انتهت ساعدتها على تثبيت النقاب الشفاف على رأسها، وما لبثت انغام الموسيقى ان تجاوبت في جو الغرفة الصغيرة.

فقالت جاني: «اظن الوقت قد حان.» وضغطت يد أليسون الرطبة وهي تهمس: «سيكون الأمر على مايرام.» ثم غادرت الغرفة.

احتضنت دوتي أليسون قائلة: «إنه رجل رائع، يا أليسون، فهو يمكن الاعتماد عليه تماماً. انه دوماً يقابل خطإي بالحسنى والتفاهم بينما شاد يكاد يقطع رأسي، ان انجلو هو صخرة.»

نعم، انه كذلك، وهي تعلم الآن انه صخرتها وان مهما حدث فهو سندها وموجود دائماً حين تطلبه. لم تعرف مثل

ذلك قط في حياتها، فحظها أسعد مما كانت تجروء على تمنيه وأومأت تقول: «اعلم ذلك.»

تنحت دوتي جانباً تفسح الطريق لها لتمر بينما تقدمت ابنتها أليكس تقبل أليسون على وجنتها قائلة: «تبدين رائعة الجمال.»

ألقت أليسون نظرة على نفسها في المرآة، كانت متألقة حقاً، متألقة لأنها كانت ستتزوج انجلو. وقالت: «انني اشعر فعلاً بانني رائعة الجمال.»

لم يكن قد بقي في الغرفة الآن سوى بريدجيب التي اخذت تسوّي النقاب لها، وذلك بنشره حولها، ثم نظرت إليها والحب يطل من عينيها: «انني احب كل أولادي، يا أليسون. عندما تزوج شاد في البداية، ثم تبعته دوتي، شعرت بالبهجة، وفي كل مرة كنت أقول لأنجلو «لماذا لا تتزوج انت أيضاً؟» لكنه لم يكن يجيبني ابداً، انما الآن عرفت السبب.»

وأمسكت بيدي أليسون لحظة طويلة، ثم عادت تقول: «لقد كان ينتظرك.» ابتسمت بريدجيت وعيناها تغرورقان بالدموع: «انني مسرورة لأنه كان ينتظرك.» وقبلتها قائلة: «كونا سعيدين.»

ضغطت أليسون يد بريدجيت وقد ملأها الحب والسعادة وهي تقول: «سنكون. أعدك بذلك.»

أخرجت بريدجيت منديلاً من حقيبتها، وهي تقول: «انني أكره المرأة التي تبكي في العرس. فليس هناك سبب يدعو للبكاء، فالعرس مناسبة سعيدة.» ثم غادرت الغرفة وقد امتلأت عيناها دموعاً.

كان العرس قد ابتدأ، ألقت أليسون نظرة نهائية على صورتها في المرآة، ثم جمعت ثوبها حولها وغادرت الغرفة، ومع ان شاد وشيّا قد عرضا عليها ان يسيرا معها، فقد رفضت بكل تهذيب وحزم، لقد عاشت حياتها وحدها، وبإمكانها ان تكمل المسيرة نحو مكان العريس، وحدها أيضاً، كان قلبها مايزال يتألم لعدم حضور والدها عرسها، ولكنها قد تقبلت ذلك الآن، مدركة انها لو كانت حاولت ان تتقبل حالها معه منذ سنين، لما كانت بذلت كل تلك المحاولات الشاقة لاكتساب رضاه.

قبل ان تصل إلى باب القاعة، خيل اليها انها تسمع صوتاً يهمس باسمها، وذلك من الغرفة الصغيرة بجانب الباب. لا بد ان اعصابها تصور لها ذلك.

ولكنها عندما عادت تسمع الصوت يناديها مرة أخرى، أدركت انها ليست مخيلتها، فالتفتت ببطء، خائفة من الأمل، خائفة من ان تصدق، فقد طالما خاب أملها عبر السنين.

ولكن والدها كان هناك يتقدم منها ببطء، وقد بان الوقار على وجهه.

أتراه جاء ليدمر كل شيء؟ يدمر هذا كما اعتاد ان يدمر كل انتصاراتها الصغيرة الأخرى، وذلك بالبحث عن عيوب فيها، وعن أخطاء؟ ورفعت رأسها، انها لن تدعه يفعل ذلك بها بعد الآن.

قالت له: «مرحباً يا أبي، هل ضيعت طريقك؟»

كانت كلمات قاسية بالنسبة إليه، اكثر قسوة من هذا العجز الذي حصل له، ولكنه كان يعلم ما سيحدث إذا هو لم يحاول.

«نعم، نعم، لقد كنت ضيعت طريقي، إلى ان لفت احدهم نظري في إحدى الليالي، إلى انني ألقي بعيداً بأغلى إنجازاتي.»

كان التهديد بخسارة أليسون إلى الأبد، قد جعل كل شيء آخر فارغاً في نظره. «حاولت ان انكر ذلك، ولكن كلما زاد انكاري له، كلما أدركت انه كان صحيحاً.» ونظر اليها آملاً منها ان تفهمه «ان الأولاد هم إرث الرجل. فهو يعيش في ذاكراتهم، ليس من السهل عليّ ان اقول ذلك، ولكنني اعلم ان ذاكرتك لن تكون في صالحي.»

تنحنح ثم تابع يقول: «انا اعلم ان ليس لي الحق في القيام بدور الأب في عرسك وذلك بتسليمك إلى عريسك، لأنك لم تكوني قط إبنتي، وقد قمت بما يلزم في هذا الأمر.»

ووضع يده على يدها بارتباك. ذلك انه لم يلمس يدها قط طوال تلك السنين، ولكنه الآن يشعر بحاجة إلى ذلك الاتصال الانساني. لم يستطع استعادة السنوات التي مضت. ولكنه لم يشأ ان يخسر السنوات القادمة. «ولكنني احب ان تسنح لي الفرصة لأضع يدك في يد شخص اعلم انه سيعرف قيمتك الحقيقية.»

لوى شفتيه بابتسامة خفيفة، ولكنها كانت البداية «ويحبك بالقدر الذي تستحقينه.»

أدركت كم كلفه هذا الكلام، وتلاشى كل ما اقترفه نحوها من اخطاء، ولم تره إلا بالشكل الذي يبدو عليه الآن، اخذت تحاول كبح دموعها بعنف وهو تقول: «آه، يا أبي.»

«هل كل شيء على ما يرام هنا.» كان هذا صوت شاد

الذي أطل برأسه إلى الغرفة الصغيرة، منقلا نظراته بين أليسون والرجل الجالس على الكرسي ذي العجلات، إن وقت الاحتفال بعقد القران قد حان منذ فترة: «ان انجلو يظن انك غيرت رأيك.»

قالت وهي تنظر إلى والدها: «كل شيء على أحسن ما يكون من الكمال.»

تنفس شاد الصعداء، وقال: «فلنكمل هذا المشهد في الطريق.» وارتفعت موسيقى اغنية الزفاف فقال: «انهم يعزفون اغنيتك، يا سوني.»

فقال والدها: «اسمها أليسون، من الآن فصاعداً هي أليسون.» وأدار كرسيه يواجه الطريق إلى قاعة الاحتفال، بينما وضعت أليسون يدها على كتفه، ثم اخذا يسيران معاً بينما كان هو يقول: «بالمناسبة، تحدثت مع شيريل لكي يلغي وضع أساسات الفندق، لما بعد ثلاثة أسابيع، فالعمل مازال عملك إذا كنت تريدينه.»

أجابت باسمة: «بل أريده.»

«وربما، بعد شهر العسل، قد تحبان انت وزوجك، فكرة القيام بدمج الشركتين وجعلهما شركة واحدة.» وابتسم لها «هناك اعمال كافية لنا جميعاً.»

كل شيء، لقد حصلت على كل شيء في لحظة واحدة. وهذا من فعل انجلو، نعم لقد رتب انجلو هذا الأمر بشكل ما. لقد أدركت ذلك الآن، فهو رجل عنيد، هذا الذي تزوجته.

قال رجل الدين: «من الذي سيسلم هذه المرأة؟»

«أنا.» أجاب كونراد بذلك بصوت من الغريب انه كان رقيقاً.

اغرورقت عيناها بالدموع مرة أخرى عندما وضع والدها يدها بيد عريسها.

فهمست له بصوت لا يكاد يسمع: «لا أدري كيف اشكرك.»

فغمز لها بعينه. كان عليه ان يبدو وقوراً، وتملكتها البهجة، وامتلأ قلبها وهي تستمع إلى كلمات عقد القران التي تعلن ابتداء بقية حياتها... اجمل جزء منها.

تمت